

دولة ليبيا

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة الزاوية

إدارة الدراسات العليا والتدريب

كلية الآداب

قسم التاريخ/ شعبة إسلامي

الهاليون وهجرتهم إلى بلاد المغرب في المصنفات الإسلامية والغربية

(دراسة مقارنة)

دراسة مقدمة لنيل درجة الاجازة العالية الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالب: الكيلاني سليمان عبدالله سليمان

رقم القيد: 016101236

إشراف: أ. د مريم جبودة

الفصل الدراسي خريف 2025-2026

الآية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ
الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

سورة العنكبوت، الآية 20

الأهداء

إلى روح والديّ الغاليين وروح أخي حسين
أهدي هذا العمل المتواضع داعين الله أن يكون صدقةً جاريةً لهم.

إلى أساتذتي الأفاضل، الذين علموني أنّ البحث ليس مجرد أوراق تُكتب،
بل رسالة تحمل وأمانة تُؤدى.

إلى اسرتي الكريمة زوجتي واطفالي شهد رهنه أحمد رعد.

إلى اخوتي واخواتي

إلى كل من ساعدني ومدّ لي يد العون ولو بنصيحة أو بكلمة أو دعاء،
أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع، راجياً أن يكون لبنة في بناء المعرفة،
ونافذة تفتح آفاقاً جديدة للبحث العلمي.

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتيسر المعارف والعلوم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان إلى أساتذتي الكرام في قسم التاريخ خلال المرحلة التمهيديّة وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور مختار كرفاع رئيس القسم حينها.

وأخص بالشكر أساتذتي المشرفة الدكتورة مريم أجودة، على راحة صدرها، وتوجيهها لي لإثراء تجربتي البحثية، فقد كانت ملاحظاتها العلمية وتوجيهاتها الرصينة نبراساً أضاء لي طريق البحث، وأساساً متيناً لبناء هذه الرسالة فلم تبخل عليّ بعلمها وخبرتها وكان دعمها المستمر وتشجيعها الدائم دافعاً لي على مواصلة العمل وتجاوز الصعوبات.

كما أتوجه بالشكر إلى لجنة المناقشة الموقرة، والمتمثلة في كل من الدكتور: على أحمد كرير والدكتورة: ذهبية عاشور قري اللذان شرفاني بقراءتهما لهذه الرسالة، وأسمهما بملاحظاتهم في إثراء محتواها وإبراز قيمتها العلمية.

ولا يفوتني أن أعبر عن امتناني لأسرتي التي كانت سنداً لي في هذه الرحلة، فكان لتشجيعهم ودعمهم أثر بالغ في مواصلة الجهد.

فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان	ر.م
أ	الاية	-1
ب	الإهداء	-2
ج	الشكر والتقدير	-3
3-1	المقدمة	-4
4	مشكلة الدراسة	-5
5	أهمية الدراسة	-6
5	أهداف الدراسة	-7
5	منهج الدراسة	-8
6	حدود الدراسة	-9
10-6	الدراسات السابقة	-10
35-13	الفصل الأول: أصول بني هلال	-11
23-14	المبحث الأول: نسب بني هلال	-12
35-24	المبحث الثاني: موطن بني هلال	-13
69-36	الفصل الثاني: دوافع خروج بني هلال من مصر والتوجه إلى بلاد المغرب العربي (في كتابات المؤرخين العرب والمغرب)	-14
48-38	المبحث الأول: اضطرابات الدولة الفاطمية	-15
60-49	المبحث الثاني: الأزمة الاقتصادية في مصر	-16
69-60	المبحث الثالث: الأوضاع في بلاد المغرب	-17
97-70	الفصل الثالث: آثار دخول بني هلال بلاد المغرب العربي (في كتابات المؤرخين العرب والمغرب)	-18
77-72	المبحث الأول: الآثار السياسية	-19
81-77	المبحث الثاني: الآثار الاقتصادية	-20

96-82	المبحث الثالث: الآثار الاجتماعية والثقافية	-21
102-98	الخاتمة	-22
109-103	المراجع	-23

المقدمة

لم تكن هجرة الهلاليين مجرد حركة بشرية عادية، بل كانت حدثاً مفصلياً في تاريخ المغرب الإسلامي، حيث أدت إلى تغييرات جذرية في بنية المجتمع المغربي على المستوى السياسي، وعززت من النفوذ العربي في المنطقة، كما أسهمت اجتماعياً في إعادة بناء التركيبة السكانية وأثرت في العلاقات بين القبائل المحلية، وعلى المستوى الثقافي، ساعدت هذه الهجرة في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية في بلاد المغرب الإسلامي، مما عمق ارتباط المنطقة بالمشرق العربي والإسلامي.

هذه القبائل تنتسب إلى العرب البدو، حيث هاجرت من شبه جزيرة العرب إلى شمال إفريقيا في الغرب، فكانت وجهتهم الأولى صعيد مصر موطناً لاستقرارهم في البداية، لكن لم يُسمح لهم من الفاطميين بتجاوز نهر النيل، مما جعلهم مصدراً للاضطرابات، خاصة في ظل الأزمة الاقتصادية التي كانت تعاني منها مصر في تلك الفترة التاريخية (444هـ/1052م)، الأمر الذي زاد من العبء على الدولة الفاطمية. تزامن ذلك مع الخلافات بين المعز بن باديس صاحب إفريقية الزيرية والمستنصر الفاطمي، الذي طالب الأول بالخطبة للخليفة العباسي القائم بأمر الله في مساجد القيروان بأفريقية، ثم ثورته على المذهب الإسماعيلي للدولة الفاطمية في القيروان سنة 407هـ، ومناداته بالعودة للمذهب المالكي السني. كما أعلن المعز بن باديس انفصاله عن الدولة

الفاطمية عام (435هـ)، وبالتالي الانتقام منه باستخدام الهلاليين ضده، والذين كانوا يشكلون تهديدًا خطيرًا للدولة الفاطمية في مصر. ومن ثم كانت هذه الفرصة مواتية للتخلص منهم في مصر، وهو ما أكده المقرئ في كتابه *إغاثة الأمة بكشف الغمة*، الأمر الذي أدى إلى اضطرابات سياسية واسعة. نتيجة لذلك، تم إرسالهم إلى بلاد المغرب الإسلامي على شكل موجات من الهجرة، بعد أن أعطوا وعدًا بحكم المغرب تحت إمرة المعز الصنهاجي، وكان هدف المستنصر بالله الفاطمي من هذه الخطوة التخلص منهم، وفي حال انتصارهم على صنهاجة والمعز، سيصبحون حلفاءً لدعوة الدولة الفاطمية. وفي حالة هزيمتهم يكون قد تخلص منهم نهائيًا.

تخترق هجرة الهلاليين صفحات التاريخ كحدثٍ تختلط فيه الأسطورة بالحقيقة، والوقائع بالسرد الشعبي، والبحث العلمي بالرواية الشفهية. ومع كل قراءة جديدة لها، يبرز سؤال مهم وهو: هل كتب العرب عن الهلاليين بوصفهم امتدادًا لذاتية العرب، أم بوصفهم قوة متمردة انطلقت بدون ضوابط؟ وفي المقابل، كيف نظر الكُتَّاب الغربيون إلى هذه الهجرة؟

هل رأوها كهجرة بدوية هزّت استقرار المغرب الإسلامي، أم اعتبروها شاهدًا على قوة العرب وقدرتهم على التأثير في جغرافيا قديمة؟ إنَّ مقارنة كتابات العرب بالغربيين حول هذا الحدث ليست مجرد دراسة أكاديمية، بل هو بحث في عمق رؤيتين مختلفتين:

رؤية داخلية تركز على ذاكرة المكان والانتماء، ورؤية خارجية تقارب الحدث برؤية تحليلية قد تتسم بالحياد أو تعد تأثر بخلفيات سياسية واستعمارية.

وفي كلتا الحالتين تتجمع مادة تكشف لنا كيف تُصنع صورة التاريخ، وكيف يمكن لفرد واحد أن يقرأها بأسلوبين مختلفين تمامًا.

ولأنّ هجرة الهلاليين ليست حدثًا تاريخيًا عابرًا، بل محطة مفصلية غيرت ملامح اللغة والعمران والعرف والسلطة في مناطق واسعة من بلاد المغرب الإسلامي، فإنّ فهمها من خلال كتابات العرب والغربيين معًا يفتح الباب أمام أسئلة أكثر:

هل تغيرت النظرة للهلاليين مع تطور مناهج البحث التاريخي؟ أم أنّ الصور الراسخة ما تزال تتحكم في سرديات الماضي؟

أصبحت هجرة الهلاليين موضوعًا ذا أهمية كبيرة في الأدبيات العربية والغربية على حد سواء، حيث تناولتها الكتابات العربية من منظور ثقافي وتاريخي، مع التركيز على تأثيراتها في تطور النسيج الاجتماعي والسياسي في بلاد المغرب الإسلامي. أما الكتابات الغربية، فقد تناولت الحدث التاريخي من زاوية تحليلية تهدف إلى دراسة تأثيرات الهجرة على بنية المجتمع المغربي وأبعادها السياسية والثقافية الناتجة عنها.

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم دراسة مقارنة بين الكتابات العربية والغربية حول أثر هجرة الهلاليين، من خلال تتبع الطرق التي تم بها تصوير الحدث، مع التركيز على الاختلافات بين الرؤيتين العربية والغربية.

مشكلة الدراسة:

ظهرت العديد من الروايات التاريخية التي تناولت هجرة الهلاليين إلى بلاد المغرب الإسلامي، وقد تباينت هذه الروايات بين اتجاهين مختلفين في تقييم أثر هذه الهجرة. حيث اعتبر بعضهم ان هذه الهجرة كانت حدثاً عظيماً له تأثيرات إيجابية كبيرة على المنطقة، في حين رأى البعض الآخر أن لها آثاراً سلبية تمثلت في الخراب والفوضى، بل وطمس بعض جوانب الحضارة المحلية. ودليلهم في ذلك هو أن المنطقة كانت تمتلك حضارةً وعمراناً واضحاً منذ القرن الثالث الهجري، كما ورد في كتابات الرحالة العرب والجغرافيين. كما سيأتي ذكره لاحقاً.

يُظهر هذا الاختلاف في تقييم أثر هجرة الهلاليين إلى بلاد المغرب الإسلامي وجود مشكلة بحثية تتطلب البحث والدراسة. ومن هنا، يُطرح السؤال الرئيس: ما مدى الاتفاق والاختلاف بين المصنفات التاريخية العربية من جهة والغربية من جهة أخرى التي تناولت هجرة الهلاليين وأثرها على بلاد المغرب الإسلامي؟

وتتبع من هذا السؤال تساؤلات فرعية منها:

1. من هم الهلاليين؟ وأين كان موطنهم الأصلي؟
2. ما هي الدوافع التي جعلت الهلاليون يهاجرون من مصر إلى بلاد المغرب الإسلامي

آنذاك؟

3. كيف كانت الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في بلاد المغرب الإسلامي قبل

هجرة الهلاليين؟

4. ما الأثر الذي ترتب على هجرة الهلاليين إلى بلاد المغرب الاسلامي؟

أهمية الدراسة: تكمن أهمية هذه الدراسة في النقاط التالية:

1. أنَّها تتطرق إلى موضوعٍ علميٍ يسلط الضوء على المواقف المختلفة والكتابات التاريخية

العربية والغربية المتعلقة بهجرة الهلاليين إلى بلاد المغرب الإسلامي، وتفتح المجال

للباحثين الجدد لاستكشاف موضوعات بحثية ذات صلة بالموضوع البحثي.

2. تعزز قدرة الباحثين على تطوير مهاراتهم في مجال البحث والدراسة التاريخية، وتحسين

قدراتهم في تطبيق المنهجيات والأساليب البحثية.

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى إبراز أوجه الاتفاق والاختلاف بين المصنفات العربية

والغربية بشأن أثر هجرة الهلاليين إلى بلاد المغرب الإسلامي، مع التركيز على نقد كيف تم

تصوير هذا الحدث التاريخي من خلال بعض الكتابات المختلفة.

منهج الدراسة: من أجل تحقيق أهداف الدراسة، سيتم الاعتماد على:

- **المنهج التاريخي:** والذي سيتم استخدامه لعرض وسرد الأحداث التاريخية المتعلقة بهجرة الهلاليين، مع تحديد الفترة الزمنية والمكانية التي وقع فيها هذا الحدث التاريخي.
- **المنهج المقارن:** وذلك للمقارنة بين الروايات التاريخية عند كل من العرب والغربيين.

حدود الدراسة:

1. **الحدود الموضوعية:** تتركز الدراسة على الهلاليين وهجرتهم إلى بلاد المغرب الإسلامي كما وردت في المصنفات العربية والغربية.
2. **الحدود المكانية:** تقتصر الدراسة على منطقة بلاد المغرب الإسلامي.
3. **الحدود الزمانية:** تتناول الدراسة الفترة الزمنية خلال منتصف القرن الخامس الهجري، الموافق للقرن الحادي عشر الميلادي.

الدراسات السابقة:

حظي موضوع هجرة الهلاليين بالكثير من الدراسات الحديثة التي لم يخرج أغلبها عن طرح ما كتبه ابن خلدون في كتابه العبر حيث يقول: "أجازوا النيل إلى برقة ونزلوا بها واقتحموا أمصارها واستباحوها وكتبوا لإخوانهم بشرقي النيل يرغبونهم في البلاد، فأجازوا إليهم بعد أن أعطوا لكل رأس دينارين، فأخذ منهم أضعاف ما أخذوه، وتقارعوا البلاد، فحصل لسليم الشرق، ولهلال الغرب وخرّبوا المدينة الحمراء واجدابيا وأسمرأ وسرت"، وكذلك ما ذكره العلامة الإدريسي "إنّ المنازل بين

قابس وطرابلس خلاء بلقع قد أتت الأعراب على عمارتها وطمست آثارها وأخربت عمارها وأفنت خيراتها، وغيرت أحوالها وأبادت أشجارها، وغورت مياهها"، ومن الدراسات السابقة التي تناولت سيرة الهلالين وكانت بمثابة نقطة بداية للبحث العلمي في هذا الموضوع، والتي تلتقي مع الدراسة في بعض العناصر منها:

1-دراسة ل. هـ. ر. إدريس، إفريقية في عهد بني زيري (القاهرة: دار الكتب العلمية، دت):

تناولت الدراسة أثر الهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب حيث هدفت هذه الدراسة إلى بيان أثر الهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب وتوصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1- إنَّ قدوم الهلالين إلى بلاد إفريقية كان كارثة عليها، بعد أن كانت في أوج علاها.

2- قام الهلاليون بتخريب كثير من معالم المدن في المغرب.

3- أصبح الهلاليون هم سادة المغرب بعد قدومهم إليها.

2-دراسة مراجع عقيلة الغناي، (1988)، قيام دولة الموحدين ط1 (بنغازي: منشورات جامعة بنغازي، 1988):

هدفت هذه الدراسة إلى التعريف بقيام دولة الموحدين وكذلك التعريف بإمارة بني زيري في

المغرب الأدنى، وخلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

أ- إنَّ موجة بني هلال لم تكن متأتية لنشر الإسلام إنَّما كانت لغرض الغزو بسبب حب التملك على المغام والاحتواء على السلطان.

ب- إنَّهم استباحوا البلاد سلباً ونهباً.

ج- حاصروا المدن وفتكوا بأهلها واحتوا على ممتلكاتهم.

3-دراسة أحمد علي كريم، (2003)، تاريخنا بين الحقيقة والخيال، دراسة تاريخية ط1
(طرابلس: دار الحكمة، 2003):

هدفت هذه الدراسة إلى دحض وتنفيذ المظالم التاريخية التي ألصقت بالهلاليين، وشوهت هجرتهم من صعيد مصر إلى بلاد المغرب الإسلامي الذي حاول فيه الرد على كثير من الاتهامات الموجهة ضدهم.

وخلصت الدراسة إلى أنَّ بني هلال قد جُني عليهم من قبل المؤرخين مثل ابن خلدون.

4-دراسة الراضي دغفوس، العوامل الاقتصادية لهجرة بني هلال وبني سليم من مصر إلى إفريقيا (القاهرة: دار النهضة العربية، دت):

هدفت هذه الدراسة إلى التعريف بالعوامل الاقتصادية لهجرة بني هلال وبني سليم من مصر إلى إفريقيا، وتوصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

أ- إنَّ قدوم الهلاليين إلى أفريقية حتمته ظروف اقتصادية عاشتها مصر.

ب- إنَّ وصول الهلاليين إلى بلاد افريقية تزامن مع تدهور واضطراب حاد فيها.

ج- إنَّ قدوم الهلاليين إلى إفريقيا في منتصف القرن الخامس الهجري هو مجرد حدث عَجَل في اضعاف إفريقيا الزيرية.

5-دراسة ج. بونسي، (1985)، أسطورة الكارثة الهلالية ترجمة: مهند الخطيب، مجلة عالم

الفكر، دمشق، العدد السابع، 1985:

هدفت هذه الدراسة إلى تفنيد الآراء وراء اعتبار الهجرة الهلالية كارثة حلت ببلاد المغرب،

وتوصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

أ- إنَّ هجرة الهلاليين هي سبب في كارثة بني هلال لا صحة لها.

ب- ما أرخه ابن خلدون فهو لم يكن معاصراً للحدث، بل أرخ له بعد مرور ثلاثة قرون على

ذلك، وحكمه لا يتفق مع من سبقوه من المؤرخين.

6-دراسة فائزة محمد صالح أمين، (1981)، غزو بني هلال وبني سليم للمغرب، رسالة

ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الآداب، قسم التاريخ، 1981.

هدفت هذه الدراسة إلى التعريف بغزو الهلاليين لبلاد المغرب، وقد توصلت الدراسة إلى

النتائج الآتية:

أ- إنَّ الخراب الاقتصادي الذي حل ببلاد إفريقية ناتج عن الثورات والصراعات التي كانت

تشهدها.

ب- إنَّ بعض الغربيين قد انتهزوا الفرصة واتخذوا من مما كتبه ابن خلدون ذريعة لكي يحملوا

العرب مسؤولية ما واجهته المنطقة من أزمات وكوارث.

التعقيب على الدراسات السابقة:

توصلت الدراسات السابقة إلى مجموعة من النتائج التي استفاد منها الباحث في تحديد مشكلة الدراسة وأهدافها، كما أنها أعانتة في رسم هيكلية الدراسة وتقسيماتها، فضلاً عن اعتبارهما مصادر ومراجع للدراسة الحالية.

تقسيمات الدراسة:

الفصل الأول: أصول الهلاليين

المبحث الأول: نسب الهلاليين.

المبحث الثاني: موطن الهلاليين.

الفصل الثاني: دوافع خروج الهلاليين من مصر والتوجه إلى بلاد المغرب الإسلامي (في كتابات

المؤرخين العرب والغربيين)

المبحث الأول: الاضطرابات في الدولة الفاطمية في مصر.

المبحث الثاني: الأزمة الاقتصادية في مصر.

المبحث الثالث: الأوضاع في بلاد المغرب.

الفصل الثالث: أثر دخول الهلاليين بلاد المغرب الإسلامي (في كتابات المؤرخين العرب

والغربيين)

المبحث الأول: الأثر السياسي على بلاد المغرب الإسلامي.

المبحث الثاني: الأثر الاقتصادي على بلاد المغرب الإسلامي.

المبحث الثالث: الأثر الاجتماعي والثقافي على بلاد المغرب الإسلامي.

الخاتمة

المصادر والمراجع

الفصل الأول: أصل الهالليون

المبحث الأول: نسب الهالبيين

المبحث الثاني: موطن الهالبيين

تمهيد:

يعتبر موضوع نسب الهلاليين من القضايا التاريخية والأنثروبولوجية التي أثارت جدلاً واسعاً بين المؤرخين والنسابة العرب، إذ ارتبطت هذه القبيلة الشهيرة بمسار الهجرة الكبرى التي غيّرت ملامح المجتمع العربي والإسلامي في العصور الوسطى. وتتفق المصادر على انتساب الهلاليين إلى الفرع العدناني القيسي المضري.

ولا يقلّ جانب الموطن أهمية عن النسب، إذ إنّ دراسة المواطن الأصلية لبني هلال في نجد والحجاز، ثم تتبع انتقالهم إلى الشام والعراق ومصر وصولاً إلى بلاد المغرب، يكشف عن حركة القبيلة في التكيف مع التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. فالهلاليون لم يكونوا مجرد جماعة بدوية متقلّة، بل كانوا قوة بشرية وعسكرية ذات أثر مباشر في إعادة تشكيل الخريطة السكانية والسياسية للمناطق التي حلّوا بها.

إنّ تناول نسب الهلاليين وموطنهم لا يقتصر على إعادة سرد ما ورد في كتب الأنساب والتاريخ، بل يهدف إلى تقديم قراءة تحليلية مقارنة تربط بين الهوية القبلية والجغرافيا التاريخية، وتوضح كيف أسهمت هذه القبيلة في صناعة التحولات الكبرى في المشرق والمغرب. ومن هنا يهدف هذا الفصل، إلى إلقاء الضوء على نسب بني هلال من خلال المبحث الأول، أمّا المبحث الثاني

فيتناول مواطنهم الأصلية، ورصد مسارات هجرتهم، بما يفتح المجال لفهم أعمق لدورهم في التاريخ الاجتماعي والسياسي للعالم العربي.

المبحث الأول: أصل الهلاليين

قبل الحديث عن أصل ونسب الهلاليين لأبد من الرجوع إلى كتب الأنساب في هذا الشأن، إذ إنها تتفق على أنّ العرب هم ثلاثة أقسام: بائدة، عاربة ومستعربة، ومع هذا الاتفاق إلا أنّهم يختلفون في أصلهم وتفرعهم، فهم يرون أنّ العرب الباقية تتكون من قحطان وعدنان،⁽¹⁾ ومرة يقولون إنّها من قحطان ومعد،⁽²⁾ وهناك من يراها تتكون من قحطان وعدنان وقضاة،⁽³⁾ وقضاة نجد أنها تنتسب عند بعض المؤرخين والنسابة العرب القدامى إلى معد بن عدنان.⁽⁴⁾ في حين نجد آخرون ينسبونها إلى القحطانيين، أمّا البائدة فلا يعرف عنها شيئاً إلا ما ذُكر في القرآن كعاد وثمود⁽⁵⁾.

إنّ الاختلاط والاختلاف في أصل الهلاليين ربّما انعكس أيضاً على أصل الكثير من القبائل العربية، لذا يصبح من الصعب جداً معرفة الأصول الحقيقية لكل قبيلة، وهو ما لاحظته الباحث أثناء بحثه في أصل الهلاليين، فمن خلال تتبع تاريخ القبائل الشهيرة في كتب التاريخ وهجرتهم من الجزيرة العربية إلى بلاد المغرب الإسلامي أنّها تقتصر على ثلاث قبائل رئيسة هي: بنو

(1) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، (ت 285هـ)، نسب عدنان وقحطان (القاهرة: دار الكتب، 1936) ص18.

(2) المسعودي، مروج الذهب، ط1 (القاهرة: دار التراث الإسلامي، 1983) ص232.

(3) ابن خلدون، عبد الرحمن محمد، (ت 808هـ)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1959) ج1/25-27.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية، ط1 (القاهرة: دار المعرفة للطباعة والنشر، 1985) ص7.

(5) القلقشندي، أبو العباس أحمد، قلند الجمال في التعريف بقبائل عرب الزمان، ط1 (القاهرة: دار الكتب الحديثة، 1963) ص12.

هلال وبنو سليم وبنو معقل،⁽¹⁾ إلا أنّ اسم (هلال) غلب عليها جميعاً، والسبب في ذلك لأنّ زعامة هذه المكونات كانت لهم في ذلك الحين، وربّما لأنّ لفظ (هلال) سهل التداول فكثرت دورانه على الألسن، وبذلك شاع اسم بني هلال على جميع تلك القبائل.⁽²⁾

بنو سليم* وبنو هلال هما قبيلتان تنتميان إلى الفرع العدناني الشمالي وهو ما يعرف باسم عرب الشمال وقد ذكرها ابن خلدون وأبو الفداء ضمن القبائل المسماة (العرب التابعة للعرب)⁽³⁾، بينما عدّها القلقشندي من طبقة العرب المستعربة، فهلال وسليم من أصل واحد.⁽⁴⁾

أمّا الذين دخلوا بلاد المغرب الاسلامي بصحبة الهلاليين من بني عامر فيرجعون إلى بني معقل وهو ربيعة بن الحارث بن كعب بن جلد بن مذحج؛ وهم بطن من مذحج من القحطانية كانوا في القرن الثامن الهجري من أواخر القبائل العربية المهاجرة، وهم ثلاثة بطون: ذوي عبيد، ذوي منصور، ذوي حسان،⁽⁵⁾

يوجد في انساب العرب أكثر من بطن يدعى بني هلال، ولكن أشهرها وأقواها وأبعدها أثراً وأكثرها نفوذاً وانتشاراً هو الفرع العامري الهوازني القيسي المضري في عصر الجاهلية والإسلام،

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، ط1 (القاهرة: دار المعرفة للطباعة والنشر، 1985، ص206.
(2) فاطمة بولفيني، لغة قبائل بني هلال بين العامية والفصحى، دراسة لقبائل الغرب الجزائري تاريخية أنثروبولوجية ولغوية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة جيلالي ليابس، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية، سيدي بلعباس، الجزائر، 2017، ص17.
• تعد قبائل بني سليم من أشهر القبائل العربية التي قطنت شبه الجزيرة العربية حظيت بمكانة سياسية واجتماعية مرموقة، يجتمعوا في نسبهم مع قبائل بني هلال في جدهم منصور بن خصفه بن قيس بن عيلان بن مضر، دخلوا في نزاع مع الهلاليين استمر سنوات حول مصادر قوتهم، ولكن في عام 443هـ/1051م نزحوا معهم إلى شمال إفريقيا.
(3) ابن خلدون، العبر، ج1/494.
(4) القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ط1 (بغداد: دار الكتب الوطنية، دت).
(5) ابن خلدون، العبر، ج6/77، وعمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط3 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1982) 1123/3.

وهم: بنو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن المضري القيسي الهوازني نسبة إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة العزيز بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن تسل نبي الله إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن -عليهما السلام. (1)

ولكن ليس كل من يقال لهم بني هلال هم بنو هلال أصحاب التغرية المشهورين الذين تحدثت عنهم كتب التاريخ، وروي عنهم الأدب في سيره وملاحمه، وجرت أخبارهم وبطولاتهم في الروايات الشعبية وفي مجالسهم وسمرهم، وإنما يشترك مع بني هلال قبائل عدّة في الاسم، وفيما يلي يسرد الباحث قائمة بأسماء هذه القبائل وهم:

1- بنو هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عوف بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط بطن من النمر بن ربيعة بن نزار. (2)

2- بنو هلال عامر بن ربيعة بن ثعلبة بن سعد بن ضيعة بطن عدناني مضري ضبي. (3)

3- بنو هلال بن حُشم بن القين بن جَسْر، بطن قضاعي قتيبي. (4)

4- بنو هلال بن عمرو بن جُشم بن عوف بن النخح من مزحج، بطن مذحجي قحطاني، وهؤلاء هم الذين جاؤوا بني سلول (من هوازن) في أعالي منطقة بيشة (وهي منطقة تقع في جنوب

(1) النويري، شهاب الدين، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 2004) ج2/ص 337 ص-338.

(2) ابن الأثير، عز الدين الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، ط1 (بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، 1980) 2 ص545.

(3) ابن حبيب أبو جعفر بن محمد، مختلف القبائل ومؤلفها، ط1 (بيروت: دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، د ت) ص47.

(4) ابن حبيب أبو جعفر، المصدر نفسه، ص48.

غرب شبه الجزيرة العربية ضمن إقليم السراة والآن تحديدا جنوب المملكة العربية السعودية)،

ثم رحلوا ودخلوا بالحلف في قبيلة (يام) القحطانية الكبرى سنة (320)هـ.

5- بنو هلال بن عمرو بن كعب بن الغطريف الأصفر، وهو الحارث ابن عبد الله بن الغطريف

بن بكر بن يشكر بن مبشر بطن من قبيلة الأزد. (1)

6- بنو هلال بن عفر من قيس غيلان، بطن عدناني مضرى قيسي. (2)

7- بنو هلال بن أهيب بن ضيعة بن الحارث بن فهر من قريش فرع عدناني مضرى فندي

مدركي كناني نضري قرشي فهري حارثي، ولعلهم الذين كانوا في أعالي وادي فاطمة قرب

مكة في القرن السابع الهجري، منهم الصحابي الجليل وأحد العشرة المبشرين بالجنة وأمين

هذه الأمة أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن أهيب ابن ضيعة بن فهر. (3)

8- بنو هلال بطن قضاعي خولاني حيداني النسب سعدي المهجر. (4)

9- بنو هلال أيضاً بطن من قبائل خولان بن عمرو بن الحافي بن قضاة. (5)

10- بنو هلال بن مالك بن ضيعة بن الحارث بن فهر، بطن عدناني مضرى، منهم: سهل

وصفوان أبناء وهب بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن مالك ابن ضيعة، شهد بدرًا مع

رسول الله ﷺ وأمهما بيضاء وهي دعد بنت جحدم بن عمرو بن عامر بن عائش بن ظرب

(1) ابن حبيب بن جعفر، مصدر سابق، ص48.

(2) أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، وعبد الحليم عويس، بنو هلال أصحاب التغريبة في التاريخ والأدب (الرياض: دار العلوم، 1981) ص17.

(3) الكلبي، جمهرة النسب، تحقيق: د. ناجي حسن، ط1 (القاهرة: دار الكتب، 1981) ص371.

(4) إبراهيم بن أحمد المقفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ط4 (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 2004) ص1825.

(5) الهمذاني، الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، ط2 (عدن: الدار اليمنية للنشر والتوزيع، 1987) ج1 ص294.

بن الحارث بن فهر، وعياض بن غنم بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال صحابي
شهد بدرًا وأُحد والخندق وأسهم في فتوح الجزيرة وهو أول من اجتاز الدّرب إلى الروم، ولاه
عمر بن الخطاب رضي الله عنه جُندِ حمص فلم يزل والياً عليها حتى وفاته سنة 20هـ. (1)

أمّا نسب الهلاليين الذين اتجهوا إلى بلاد المغرب الإسلامي فجدهم الذي يُنسبون إليه هو
"عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن؛ فمن بطون عامر بنو هلال بن عامر بن
صعصعة"، (2) ويضيف ابن حزم الأندلسي عن هذا النسب فيقول: "هؤلاء بنو هلال بن عامر بن
صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن
نضر". (3)

أمّا خير الدين الزركلي فيقول في نسبهم: "هلال بنو عامر بن صعصعة من هوازن
عدنان". (4)

ويتحدّث ابن الأثير عن قبيلة بني هلال فيُنوّه بكثرتها وبكثرة ما أنجبه من العلماء فيقول:
"الهلالي بكسر الهاء هذه النسبة إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن
قبيلة كبيرة ينسب إليها كثير من العلماء". (5)

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى ، ط2 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1997) ج123/7.
(2) المقريزي، البيان والإعراب عما بارض مصر من الأعراب، تحقيق: د. عبد المجيد عابدين (القاهرة: دار النشر، 1961) ص28.
(3) ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (القاهرة: دار المعارف، 1962) 384/1.
(4) خير الدين الزركلي، الأعلام، قاموس تراجم لأكثر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين (القاهرة: دار الفكر، 1985) 92/9.
(5) ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ج3/ص396 .

كما تحدّث الزركلي عن بطون بني هلال، فذكر أنّ أسماء تلك البطون ترجع إلى أبناء هلال الجد المشترك للقبيلة الذي أنجب حسب رأيه خمسة أبناء كل واحد منهم جدّ لإحدى بطون القبيلة وهم: شُعبة، وناشرة، ونهيك، وعبد مناف، وعبد الله،⁽¹⁾ ويشمل هذا الشَّعب^(*) على عدد كبير من القبائل منها ما ينتمي إليه حقيقة بالنسب، وبعضها نسبُه في غيره، ولكنّه محسوب منه ومضاف إليه، كما تدخل في إطاره قبائل: عَفْت وتناسلت، ونمت؛ وبذلك أصبح لها بطون والأفخاذ^(**) الكثيرة لترتفع من رتبة القبائل إلى رتبة الشعوب، وفي ضوء ذلك يمكن حصر شعوب بني هلال المضافين والأصليين وفق ما يقول ابن خلدون فيما يأتي⁽²⁾:

أ- الأثبج: "كان هؤلاء الأثبج من الهلاليين أوفر عدداً وأكثر بطوناً" ومن بين بطون الأثبج الكثيرة والتي كان لها وجود مؤثر في إفريقية خلال القرن الحادي عشر ما يأتي:

- دريد: وهم أعز قبائل الأثبج وعرفوا برئيسهم الذي دخل بهم إفريقية وهو الحسن بن سرحان بن وبره إحدى بطون دريد، والمواطن التي نزلوها بالمغرب ما بين بلاد الغاب (عنابة) إلى قسنطينة بالمغرب الاوسط.

- كرفة: وكان لهم جمع وقوة وهم من جملة الهلاليين الداخلين لإفريقية وكانت مواطنهم حيال جبل أوراس من شرقيه بالمغرب الاوسط.

(1) الزركلي، الأعلام، ج9/ص 92.

(*) الشعب: هو النسب الأبعد، كعدنان وقحطان، ينظر: محمد بن موسى الخازمي، عجالة المنبدي، مرجع سابق، ص6.

(**) الفخذ: هو ما انقسم فيه أنساب البطن كبني هاشم وبني أمية، ينظر: الخازمي، عجالة المنبدي، ص6.

(2) ابن خلدون المصدر نفسه، ج30/6-31، و جاك تيري، تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، ترجمة جادالله عزوز الطلحي، دار الكتاب للنشر، ليبيا، الطبعة الثانية، 2008، ص 267.

- لطيف: من بين بطونهم "التيامي وهم أولاد كسلان بن خليفة بن لطيف بنو ذوي مطرف وذوي أبي الخليل وذو جلال بن معافى، ومنهم اللقامنة أولاد لقمان، ونزار بن معن بن محيا بن جرير بن علوان، وجرير يزعمون أنهم من محيا بن جرير، ومزنة من ديفل بن محيا، وإليه يرجع نسب بني مزني الولاة بالزاب لهذا العهد".

وعن كثرة بطون لطيف يذكر ابن خلدون وفق ما نقله عبدالوهاب منصور "وكانت للطفيف هؤلاء كثرة ونجعة، ثم عجزوا عن الظعن وغلبهم على الضواحي الداوة من بعدهم لما قل جمعهم وافترق ملوكهم". (1)

- الضحّاك: وهم بطون كثيرة، وكان استقرارهم بمنطقة الزاب في الجنوب الشرقي بالجزائر "ثم عجزوا عن الظعن ونزلوا الزاب واتخذوا بها المدن فهم على ذلك لهذا العهد".

- العاصم: هم أبناء عاصم بن مشرف بن أثيج، وكانوا من القبائل التي انضمت إلى بني غانية فنقلهم الموحدون إلى المغرب ببسيط تامسنا بالمغرب الأقصى.

- الصمور: ويغلب عليهم الظن أنهم ولد عمرو بن عبد مناف بن هلال إخوة قرّة بن عبد مناف، (2) وعن مواطن الصمور، يذكر ابن خلدون أنّ "موطنهم ما بين جبل أوراس في شمال شرق الجزائر إلى جبل راشد في وسط الجزائر (بالمغرب الأوسط) وكان كل ذلك من ناحية

(1) عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب (الرباط: المطبعة الوطنية، 1962) ج1/ص 419

(2) ابن خلدون، العبر، ج6/37-38.

الحضنة والصحراء، وأمّا التلول فهم مدفوعون عنها بقلّتهم وخوفهم من حامية الدول، فتجدهم

أقرب إلى موطن القفر والجذب".⁽¹⁾

ب- جشم: وهم جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن،⁽²⁾ نقل الموحدون جمهورهم إلى المغرب

الأقصى، وأسكنهم بسيط تامسنا والحوز ما بين سلا ومراكش، فتخلّوا منذ ذلك التاريخ عن

عادة النجعة والريادة واستقروا متمسكين بفُح الأرض،⁽³⁾ وجشم بطون كثيرة منه:

- بنو جابر بن جشم: هي قبائل كانت لهم شوكة ومن مواطنهم سفح جبل تادلة وبيتعدون أحياناً

إلى البسيط ويعودون إلى قمم الجبال والهضاب بعد تهديدهم، وإنّ تناوب الرئاسة عليهم إلا

أنّهم في أيام دولة بني مرين تولّوها ورديقة.⁽⁴⁾

- الخُلط: يعدون أيضاً من جشم ويذرهم ابن خلدون "هذا القبيل يعرف بالخلط وهم في عداد

جشم هؤلاء، لكن المعروف أنّ الخُلط بنو المنتفق من بني عامر بن عقيل بن كعب كلّهم

شيعة للقرامطة بالبحرين. وقد عرفوا بكثرة العدد وقوتهم، ومن الذين تولّوا الرئاسة عليهم شيخهم

هلال بن حميدان بن مقدم بن محمد بن هبيرة بن عوام.

(1) عبد الوهاب منصور، قبائل المغرب، مرجع سابق، ص420.

(2) ابن خلدون، العبر، 40/6.

(3) المصدر نفسه، 40/6.

(4) عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، مرجع سابق، ص420.

ج- قبيلة رياح: هذه القبيلة من أعز قبائل هلال وأكثرهم جمعاً عند دخولهم إفريقية وينسبون إلى رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر، وتولى الرئاسة عنهم موسى بن يحيى القنبري من بطون مرداس بن رياح.

وقبائل رياح كثيرة كانت كل واحدة منها ترتقي إلى مرتبة شعب "وأما الخضر فيقولون إنهم

من ولد خضر بن عامر، وليس عامر بن صعصعة" ومن بطون رياح ما يأتي:

- مرداس: وعرفوا بكثرة العدد والرئاسة على رياح أثناء دخولهم إفريقية في حثير، ثم صارت للدواودة بن مرداس بن رياح.(1)

- أولاد سعيد: ورئاستهم كانت لأولاد يوسف ابن زيد منهم ولد ميمون بن يعقوب بن عريف بن يعقوب بن يوسف وأردافهم أولاد عيسى بن رحاب بن يوسف، وهم ينتسبون بزعمهم إلى بني سليم في أولاد القوس من سليم، والصحيح كما يقول بن خلدون من نسبهم أنهم من رياح بالحلف والموطن.(2)

د- زغبة: وهي زغبة بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال، وهذه القبيلة إخوة رياح، فهم أبناء أبي ربيعة بن نهيك ابن هلال بن عامر هكذا نسبهم، كانت لهم عزة وكثرة عند دخولهم إفريقية،

(1) ابن خلدون، العبر، ج6/ ص39 ص44 .

(2) ابن خلدون، العبر، ج6/ ص39 ص55.

وتغلبوا على نواحي طرابلس وقابس، كما شملت على قبائل كبيرة مثلت كل منها شعب،
ومنها: (1)

- بنو يزيد: وهم بنو يزيد بن ابي ربيعة بن نهيك بن هلال، وعرفوا في زغبة بكثرة عددهم
وشرفهم، ونالوا العناية من الدول إذ أقطعوهم التلال والضواحي، وعن نسبهم يذكر ابن خلدون
أنَّ الموحدين أنزلوهم أرض حمزة في بجاية، وذلك بالقرب من مواطن رياح والأثابج فاستقروا
هنالك.

- حصين بن زغبة بن ابي ربيعة بن نهيك بن ابي هلال وكانت مواطنهم بجوار بني يزيد إلى
المغرب عنهم وهي بدورها تنقسم إلى بطنين عظيمين: جندل وخراش.

- بنو مالك: يقوا ابن خلدون: "وأماً بنو مالك بن زغبة فهم بطون ثلاثة: سويد بن عامر بن
مالك، وهم بطنان العطاف بن ولد عطاف بن رومي بن الحارث، والدّيا من ولد ديلم بن حسن
بن إبراهيم بن رومي، وكانت رئاسة بني مالك في أولاد عيسى بن عبد القوي بن حمدان وكانوا
ثلاثة: مهدي وعطية وطراد".

- بنو عامر بن زغبة بنو مالك بن ابي ربيعة بن نهيك بن ابي هلال وموطنهم في آخر مواطن
زغبة القاطنة في المغرب الأوسط، وكانت موطنهم من قبل ذلك إلى الشرق من مواطن زغبة،
ومن بطونهم الشهيرة والمعروفة ثلاثة بطون هم: بنو يعقوب بن عامر، وبنو حميد بن عامر،

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، ج54-55.

وبنو شافع بن عامر وهم بنو شقارة وبنو مطرف ولكل واحد من البطنين الآخرين أفضاد وعمائر
ولبني حميد فصائل(*) أخرى فمنهم: بنو حمير ومنهم عبيد الحجر وهم بنو حجاز بن عبيد،
وكان له من الولد حجوش وهجيش ابني حجاز وجحوش حامد ومحمد ورباب.

- عروة بن زغبة: وهم بطنان: النَّضر بن عروة وخميس بن عروة وله ثلاثة: عبيد الله وفرغ
ويقظان، ومن بطون فرغ بنو قائل أحلاف أولاد يحيى من المعمور القاطنين بجبل راشد يقظان
وعبيد الله أحلاف لسويد، وتولَّى الرئاسة على هؤلاء أولاد عابد من بطن راشد نفسه.
مما سبق عرضه عن نسب بني هلال يتضح لنا أنَّ نسبهم لا خلاف عليه فهم يرجعون إلى
عامر بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وهو النسب ذاته الذي اشارت له جميع المصادر،
ولم يرد ذكره في كتابات الغربيين التي توصل إليها الباحث.

المبحث الثاني: موطن الهالين

بعد أن تم معرفة أصل وأسماء قبائل ويطون وعشائر بني هلال ننتقل للحديث عن المواطن
الأصلية للهالين، وكذلك المناطق التي كانت تستشرفها منازلهم في شبه الجزيرة العربية.
كانت الجزيرة العربية موطناً لعدد من القبائل العربية التي كانت تعيش في أرجائها وتنتقل
بعض أراضيها، فيختص كل منها بموارد المياه، وينسب لهم أصحاب المعاجم ما كان في مناطق
نفوذها من أعلام جغرافية كالجبال والأودية وغيرها.

(*) الفصيلة: هي ما انقسم فيها أنساب الفخذ كبنو العباس، ينظر: الحازمي، عجلة المبتدي، ص6.

كما أنه من عادة القبائل العربية أنها لا تعرف الاستقرار ولا تحديد مكان الإقامة، وذلك نظراً لظروفه التاريخية وحركة التنقل والارتحال، وكذلك نتيجة للحروب ولقسوة الحياة الصحراوية التي كانت تدفعهم دوماً إلى البحث عن موطن الكأ والماء. وهذا بالطبع ينطبق على الهلاليين الذين لم يستقروا في موطن واحد فقط، بل تنقلوا وسكنوا في مواطن عديدة ذكرها الرواة.

لقد تعددت مواطن هذه القبيلة عبر التاريخ، فكانت لها مواطن في شبه الجزيرة العربية زمن الجاهلية ومن ثم مواطن بعد ظهور الإسلام، إذ أثرت الأحداث والتحويلات التي عرفتها جزيرة العرب والعالم الإسلامي في تغيير مواطنها، كما أثرت تلك التحويلات على الخريطة البشرية في مناطق متعددة من البلدان التي وصلها الفتح الإسلامي.

فما سر عدم استقرارهم في موطن واحد؟ وما الأحداث والتحويلات التي دفعتهم لذلك؟ وأين كانت مواطنهم؟

تشير المصادر التاريخية إلى أن أول مواطن قبيلة بني هلال أنها كانت تقطن شمال الجزيرة العربية في منطقتي نجد والحجاز وفي بطون هوازينية أخرى، ثم كانت هجرتها إلى الشام والعراق ومصر خلال فترات تاريخية متباينة، ومنها انتقلت تلك القبائل إلى بلاد المغرب الإسلامي.⁽¹⁾

فمنازل بني هلال هؤلاء كانت مع قومهم العامريين التي كانت في الجاهلية تشمل مساحة واسعة في سفوح الجبال الشرقية الجنوبية، حتى مشارف جبال عارض اليمامة الجنوبية مساحة

(1) ابن خلدون، العبر، ج6/17-30.

في الأودية المنحدرة من السّرة صوب نجد،⁽¹⁾ وممتدة في هذه البلاد نحو الشمال والشرق حتى بلاد بني تميم في غرب الوشم.⁽²⁾

وعُرِفَ عدم استقرارهم بسبب إنَّهم كانوا يشنون المعارك ضد القبائل المجاورة. وأبرزها كانت المعارك ضد الأزدي، ويوم فجار، وهو يوم تصارع فيه قيس عيلان واحلافها من ناحية ، وقريش وكنانة من ناحية أخرى.⁽³⁾ وهذا كان قبل ظهور الإسلام. فكيف كان موقفهم من ظهور الإسلام بشبه الجزيرة العربية؟

مع ظهور الإسلام تباينت مواقف القبائل العربية منه بين قابلا للدعوة وبين الرفض لها، بل وكانت مثل هذه المواقف حتى داخل كل قبيلة بذاتها، وقبيلة بني هلال لم تكن بعيدة عن ذلك الحال حيث كان موقفها جامعا للحالين فمع بداية خروج الدعوة من مرحلة السريّة والجهر بها أظهر بني هلال العداء للإسلام والمسلمين، وشاركوا في معارك وأحلاف ضد المسلمين.⁽⁴⁾ وفي ذات الوقت خرجت مجموعات منهم تشارك في نشر الإسلام بين القبائل حيث بلغ عدد أبناء القبائل التي دخلت الإسلام بما فيهم بنو هلال بسبعمئة رجلا.⁽⁵⁾

(1) الهمداني، صفة جزيرة العرب، طبعة ليون، 1982، ص35.
(2) البكري، معجم ما اتعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط1 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1998) ج1379/4، وعمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط3(بيروت: مؤسسة الرسالة، 1982).
(3) جاك تيري، تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى، ترجمة جادالله عزوز الطلحي، دار الكتاب والنشر، ليبيا، الطبعة الثانية، 2008، ص 270، ص37، نقلا عن جورج مارسيه، ص65،64.
(4) عبد الحميد بوسماحة، رحلة بني هلال إلى المغرب وخصائصها التاريخية والاجتماعية والاقتصادية، ج1، دار السبيل، د ط، 2005، ص67.
(5) دغفوس راضي ، مراحل تاريخ الهلالية في المشرق، مسار قبائل بني هلال وبني سليم من الحجاز ونجد إلى إفريقية والمغرب، مجلة المؤرخ العربي، العدد (11)، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، 1989، ، ص40.

أمّا بعد وفاة الرسول، فلم يكونوا من ضمن من ارتدوا عن الإسلام، فما الذي منعهم عن الرده؟ خاصة أنه قد عُرف عنهم مشاركتهم في الاضطرابات، ورفضهم للإسلام في أول عهده؟ وربما هذا يعود إلى خوفهم الشديد من القضاء عليهم، لأنّهم يدركون مدى قوة أبو بكر الصديق في صد المرتدين آنذاك.⁽¹⁾

ومما زاد من ارتباطهم وعدم ارتداهم عن الإسلام صلة النسب لأنّ إحدى زوجات الرسول كانت من الهلاليين وهي ميمونة ابنة الحارث*.⁽²⁾

أمّا عن مواطنهم في صدر الإسلام فإنّهم لم يجمعهم موطن واحد، بل كانوا متفرقين مع قومهم يشاركون بعض بطونهم في المواطن.⁽³⁾ وورد ذلك في العديد من المصادر التاريخية.

"إنّ مواطن الهلالين كانت متداخلة في مواطن بطون هوازنية من قومهم، إذ نجدهم في مياههم في صدر الإسلام (مرّان وعنا)* وهذان الماءان يقعان شرق ركبة مران* في طرف الحرّة (حرة كئب)*، و(عُن) تقع جنوب جبل حضن على مقربة منه، إذ نجد أنّ المكان الذي يجتمعون فيه للزكاة هو تربة، ثم نجدهم يشركون بني سلول في بيشة".⁽⁴⁾

(1) عبد الحميد الخالدي، الوجود الهلالي السليمي بالجزائر، دار الهومة، الجزائر، د ط، 2012، ص45.
*هي ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بحير بن غلب بن ربيعة بن عبدالله بن هلال بن عامر بن صعصعة، وهي بنت خالة خالد بن الوليد. وهي اخر امرأة تزوجها الرسول عليه السلام.
(2) عبد القادر صالح، العقيدة والأديان، دار المعارف، بيروت، لبنان، 2003، ص266.
(3) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص121، وابن دريد، الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط1 (بيروت: دار الجيل، 1991) ص38.
*مورد ماء يقع على الطريق القديم للحج والتجارة.
* منطقة صحراوية تقع في الجزء الشمالي الغربي من المملكة العربية السعودية.
* تقع شمال شرق مدينة الطائف وهي اكبر الحقول البركانية في السعودية.
(4) البكري، معجم ما استعجم، ج3/ ص 787.

بالإضافة إلى ذلك يرى (ابن الحربي) صاحب كتاب المناسك أنّ بني هلال كانوا في (ذات عرق) ويشركون معهم الضباب وعامر بن أبي ربيعة وهوازن، وكان هذا في القرن الثالث الهجري، أمّا الهمداني فيذكر أنّ أرض عكاظ في عهده كانت لبني هلال كما يعد وادي جلدان من مساكنهم أيضاً. (1)

ويرى الباحث أنّه ليس من المعقول أنّ تسيطر قبيلة بني هلال على جميع البلاد الواقعة بين تلك المواضع، وهو ما يذهب إليه الإدريسي حيث يقول: "إنّ الغالب على نواحي مكّة مما يلي المشرق بنو هلال وبنو سعد في قبائل من هُذيل". (2)

ويبدو أنّ الهلاليين قد توغلوا في الحجاز منذ القرن الثاني الهجري حيث ينقل البكري عن محمد بن عبد الملك الأسدي، وهذا أدرك أوّل القرن الثالث الهجري الذي يقول: "جُلُّ هلال في الحجاز"، (3) ولاشك أنّ بني هلال كغيرهم من القبائل العربية التي شاركت في الفتوحات الإسلامية مشاركة كان من أثرها استيطان أناس منهم في الأمصار التي فتحت كالعراق والشام وبلاد فارس وغيرها. (4)

(1) إبراهيم الحرب، المناسك، ص351-352.

(2) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ط1 (بيروت: عالم الكتب، 1988) ج1 ص145.

(3) البكري، معجم ما استعجمتم، ج/3 ص875.

(4) حمد الجاسر، بنو هلال قديماً وحديثاً، مجلة العرب، (الجزء 1-2) الرياض، رجب 1987، ص21.

ويشير بعض المؤرخين (1) إلى استقرار بعض بني هلال في تلك الأقطار كالحازمي عندما تحدّث عنهم في كتابه عجالة المنتدى وفضالة المنتهى فقال: "وهم بالبصرة"، والمقصود هنا الهلالين إذ أنّ أكثرهم في عصر الحازمي قد هاجر إلى المغرب.

ويذكر ابن خلدون (2) قائلاً: "أمّا هلال بن عامر، فبطون كثيرة كانوا في الجاهلية في نجد ثم ساروا إلى الديار المصرية في حروب القرامطة، ثم ساروا إلى إفريقية في خلافة المستنصر العبيدي لحرب المعز بن باديس". ويقول أيضاً: "كانت بطون هلال من مضر -لم يزلوا بادين منذ الدولة العباسية، وكانوا أحياء ناجعة محلاتهم من بعد الحجاز بنجد، وبنو هلال في جبل غزوان عند الطائف، وربما كانوا يطوفون في رحلة الصيف والشتاء أطراف العراق والشام". لقد فصلّ ابن خلدون أخبار الهلاليين الذين انتقلوا إلى المغرب تفصيلاً وافياً إلا أنّ مما يؤخذ عليه وقبله ابن سعد الأندلسي في كتابه (نشوة الطرب) القول بأنّهم انتقلوا كلهم من مواطنهم كما يفهم من كليهما.

إنّ قبيلة بني هلال كانت منتشرة في أعالي نجد وما يليها من بلاد الحجاز حول الطائف إلى ما يقرب من مكّة، مخالطة فروعاً من هوازن كبني جُشم وغيرهم للقرابة وللتجاور في المنازل،

(1) أبو بكر الحازمي، عجالة المبتدي وفضالة المنتهى في النسب، مصدر سابق، ص72.

(2) ابن خلدون، العبر، ج6/ص18.

أمّا بنو سليم معلومة فهم كذلك كانوا مقيمين قبل ظهور الإسلام في نجد رفقة أبناء عموماتهم بني

هلال، وهذه المنطقة كثيرة الأودية والهضاب، وعرفت باعتدال مناخها وندرة أمطارها.(1)

وكانت القبائل الهلالية في أغلبها قبائل بدوية تنتقل ما بين البصرة ومكة من ناحية، وما بين

مكة ويثرب من ناحية أخرى.(2)

كما سُميت باسم بني هلال مواطن كثيرة منها: بنو هلال قرية قديمة من أعمال الشرقية وبنو

هلال بالبحيرة تابعة لمركز دمنهور، وبنو هلال بقسم سوهاج،(3)

ويرى بعض المؤرخين أنّ لبني سليم وهلال مواطن في العراق، ومن ذلك أنّ مجموعة منهم

اتخذوا لهم محلة بوادي الكوفة حوالي 120 هـ، وكان هذا المكان يعرف بمسجد بني هلال،(4)

كما استوطن بنو هلال بنواحي حلب بالشام والموصل بالعراق، ونزلوا المنازل التي كانت قبلهم

لربيعة وكهلان.(5) ونقل راضي دعفوس (6) عن ابن خلدون ذلك حيث يقول: أنّ بني هلال استقروا

في الشام والعراق في موقع يسمى بديار مضر، وتميزت حياتهم في هذين الوطنين بالثرا زمن

الجاهلية، ومعارضتهم للإسلام في بداياته، ثم دخولهم الإسلام ومعرفتهم الاستقرار .

أمّا في العهد الأموي فكانوا يغيرون على القوافل والمسافرين لتأمين العيش حينها وتأمين حياتهم

إلى أنّ تم نقلهم إلى مصر، والتي تعد موطنهم الثالث، فوجودهم وحسبما نقلته الكتابات يعود إلى

(1) الراضي دعفوس، مرجع سابق، ص212.

(2) إبراهيم الحربي، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق: حمد الجابر (السعودية: منشورات دار اليمامة، 1969)، ص334.

(3) المقرئزي، تقي الدين، البيان والإعراب، مصدر سابق، ص28.

(4) إبراهيم الحربي، المصدر نفسه، ص332-333.

(5) القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشاء (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1959) ج1ص395.

(6) دعفوس، مرجع سابق، ص42.

طلب تقدم به عبد الله بن الحباب إلى هشام بن عبد الملك سنة 105هـ _724م، عندما ولاه على مصر، حيث طلب منه أن يسير جماعات من قيس إلى مصر، لأنه لا يرى لهم وجود، لذلك أرسل له حوالي ثلاثة آلاف منهم، وتحويل ديوانهم إلى مصر، بشرط أن يوطنوا خارج الفسطاط، وبالفعل تم توطينهم بالجوف الشرقي.⁽¹⁾ والنص الموثق على لسان الكندي يقول " إنَّ عبيدالله ابن الحباب لمَّا ولاه هشام مصر قال: "إنَّ أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قد شرف هذا الحي كم قيس ونعشهم ورفع من ذكرهم وإني قدمت مصر فلم أر لهم فيها حظًّا إلا أبياتًا من فهم وفيها كور ليس فيها أحد وليس يضر بأهلها نزولهم معهم ولا يكسر ذلك خراجًا وهو بلبيس فإن رأى أمير المؤمنين أن ينزلها هذا الحي من قيس فليفعل". فكتب إليه هشام أنت وذلك فبعث إلى البادية فقدم عليهم مائة من أهل بيت من بني مضر ومائة أهل بيت من بني عامر ومائة أهل بيت من أفناء هوزان ومائة أهل بيت من بني سليم فأنزلهم بلبيس وأمرهم بالزرع".⁽²⁾ وكتب عنهم ابن خلدون⁽³⁾ " فأنزلهم في العدة الشرقية من بحر النيل فأقاموا هناك، وكان لهم أضرار بالبلد"

لم يكن الهلاليين هم القبائل الوحيدة التي تم توطينها في مصر، بل انتقلت عدة قبائل أخرى حيث دفعها تدهور الأوضاع في الجزيرة العربية من قحط وجفاف إلى سلك مسلك الهلاليين

(1) مبارك الملي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، د ط، د ت، ج2، ص179.
(2) الكندي، أبي عمر محمد بن يوسف، مهذبًا ومصححًا، رفن كوست، الولاية وكتاب القضاة، مطبعة الابا اليسوعيين، بيروت، 1908 ص75-76.

(3) ابن خلدون، العبر، ج6، ص18

بمغادرة البادية والنزوح إلى مصر والاستيطان بجوار شعبها، ووصل عددهم في عهد هشام بن عبد الملك ألف وخمسمائة بيت.⁽¹⁾

وهنا يتسأل الباحث هل نقلهم من بلاد الشام والحجاز إلى مصر جاء فقط نتيجة لطلب

عبدالله بن الحبحاب ذلك؟ أم هناك أسباب غير مباشرة لذلك؟

تذكر العديد من الدراسات المهمة بموضوع الهالين إنَّ نقلهم إلى مصر جاء لعدة أسباب:²

1_ أيجاد نوع من التوازن بين القبائل العربية اليمينية والقيسية.

2_ تثبيت السلطة الأموية في المنطقة، وقمع حركات التمرد.

3_ نشر العروبة والإسلام ببلاد مصر من خلال الاختلاط بالسكان الأصليين.

وتقول بعض الروايات عن رحيلهم من نجد، أن بلاد نجد قد أصابها القحط سبع سنوات حيث

تزايد سنة بعد سنة، غابت الأمطار وجف الزرع ويبيست الأرض وانقرض النخل. أمام هذه الظروف

الصعبة، شعر الهالين بالإهانة وهدر الكرامة حسب ما وصف ذلك. عبد الحميد بوسماحه في

رحلة بني هلال إلى المغرب وخصائصها.⁽³⁾

ويذكر الباحث عيسى قوراري حسب ما نقله عنه خلايفة.⁽⁴⁾ في دراسته بأثر العرب الهلالية في

الحواضر الإسلامية المغربية "أنَّه ربما يعود سبب هجرة الهالين إلى أنَّ السلطة الفاطمية كانت

1 احمد المقريري، المصدر نفسه، ص33_43.

2 احمد المقريري، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق، عبد الحميد عابدين، القاهرة، 1949، ص35. وانظر عبدالله المعموري، تاريخ المغرب والأندلس، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، ص349.

3 بوسماحه، مرجع سابق، ص81.

4 احمد خلايفة، اثر العرب الهلالية في الحواضر الإسلامية المغربية_حاضرة القيروان خلال القرن 5_هـ_11م، أنموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي، الجزائر، 2016_2017، ص11_12. نقلاً عن عيسى قوراري، قبيلة حميان من القرن 5_هـ_8

ترى أنّ بلاد الشام تعد خط الدفاع الأول لمصر، وإنّ بقاء الهلاليين على حدود مصر الشرقية اي سوريا، يشكل خطراً على حكم الفاطميين في شمال النيل فانتهدت إلى تشجيع هذه القبائل على الهجرة إلى مصر ما بين 976_996م -366-386 هـ، وأيضاً تخوف الفاطميين من استغلال بني هلال من طرف العباسيين ضدهم". وانضوت هذه الجموع المختلفة تحت لواء بني هلال الذين أصبح لهم الزعامة وغلب أسمهم على كل الجماعات.(1)

ويشير ابن الوزان الزيّاني (ليون الإفريقي) في كتابه (وصف إفريقيا) إلى مواطن بني هلال في بلاد المغرب حيث يقول: "إنّ الفرع الرئيس من قبيلة بني هلال هو فرع بني عامر، ويسكن هؤلاء العرب بجوار تخوم مملكتي تلمسان وزهران ويستخدمهم ملك تلمسان في أعمال كثيرة مقابل أجور تدفع لهم، وهم أولوا بأس شديد وثروة واسعة، وفيهم (6000) فارس جميل الطلعة جيد التجهيز".(2)

وما يمكن أن نستخلصه مما سبق أنّ انتقال الهلاليين أو تنقلهم هو أمر حتمته الظروف الطبيعية في البداية، ثم تم تسخيرها لخدمة مأرب سياسية منها تحقيق مكاسب اقتصادية للأمويين لأنّ تعميرهم لمنطقة بلبيس بالسكان يندرج عليه تحصيلهم للضرائب من مصدر جديد، وتدعيم الحكم الأموي.

_11_14م، دراسة تاريخية وثائقية ، مذكرة دكتوراه، شعبة الفنون الشعبية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2005_2006، ص103.

(1) فائزة محمد صالح أمين، غزو بني هلال وبني سليم للمغرب، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الملك عبد العزيز، مكة، 1980_1981، ص46.47.

(2) ابن الوزان الزيّاني، وصف إفريقيا، ترجمة: عبد الرحمن حميدة (القاهرة: مكتبة الأسرة، دت) ص61.

ختاماً لهذا الفصل:

تتفق المصادر التاريخية العربية على أنّ بني هلال ينتمون إلى الفرع العدناني الهوازني القيسي المضري، وتحديداً إلى عامر بن صعصعة، وهو نسب يضعهم في قلب القبائل العربية الكبرى التي كان لها أثر بالغ في الجاهلية والإسلام. غير أنّ اسم "هلال" لم يقتصر على هذا الفرع وحده، بل حملته بطون أخرى من ربيعة وقريش والأزد ومذحج، مما خلق حالة من التشابك والالتباس في الدراسات النَسَبية. أمّا مواطنهم فكانت في نجد والحجاز، حيث عاشوا حياة التنقل والارتحال بحثاً عن الماء والكأ، وخاضوا معارك ضد قبائل كبرى مثل الأزد وقريش وكنانة. ومع تطور الأحداث، انتقلوا إلى الشام والعراق، ثم إلى مصر، قبل أنّ يستقروا في المغرب العربي. هذا المسار يعكس طبيعة القبيلة ككيان متحرك، يتأثر بالظروف السياسية والاقتصادية، ويعيد تشكيل وجوده الجغرافي باستمرار.

أن النسب والموطن للهلاليين لم يتناوله الكُتاب الغربيين وتحديداً في الكتابات التي توصل لها الباحث لذلك لا يحوي هذا الفصل على أي مقارنة في هذا الجانب.

أمًا موقفهم من الدعوة الإسلامية؛ فقد عادى بعضهم الإسلام في بداياته، بينما دخل آخرون فيه وساهموا في نشره. حيث أسلم عدد كبير منهم في صدر الدعوة، ولم يكونوا من القبائل التي ارتدت بعد وفاة الرسول ﷺ، بل شاركوا في الفتوحات، مما منحهم مكانة خاصة في التاريخ الإسلامي.

الفصل الثاني:

دوافع خروج الهلاليين من مصر والتوجه إلى بلاد المغرب

العربي (في كتابات المؤرخين العرب والغربيين)

المبحث الأول: الاضطرابات في الدولة الفاطمية في مصر

المبحث الثاني: الأزمة الاقتصادية في مصر

المبحث الثالث: الأوضاع في بلاد المغرب الاسلامي

تمهيد:

كان قيام الدولة الفاطمية في المغرب الأدنى سنة (297هـ) إيذاناً بتغيير الخارطة السياسية لهذا الجزء من الشمال الافريقي، إذ عادت الوحدة للمغرب مرة أخرى بعد انهيار الدول المستقلة أمام ضربات الفاطميين، كما كان لانتقال مركز الدولة الفاطمية من المهدية (في المغرب الأدنى) إلى القاهرة سنة (362 هـ)، أثره الكبير في تطور الأوضاع السياسية في بلاد المغرب الإسلامي. فمن الملاحظ أنّ كل الدول التي قامت في بلاد المغرب الإسلامي حتى قيام الدولة الفاطمية كانت ذا صبغة مشرقية أي أنّ حكامها كانوا من المشرق الإسلامي، أمّا الدول التي قامت بعد ذلك فكان حكمها ذا صبغة مغربية وأوّل دولة قامت بعد انتقال المعز لدين الله الفاطمي إلى القاهرة كانت الدولة الصنهاجية التي اعلن رابع ولاتها (المعز بن باديس) خروجه عن طاعة الفاطميين عام 440 هـ-1048 م، وتسبب في تغيير الكثير من أحوال بلاد المغرب الإسلامي وما حل بها من أحداث ومن أبرزها دخول الهلاليين إليها وما ترتب عليه من أثر.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا لماذا كانت هجرة الهلالين من مصر إلى بلاد المغرب الإسلامي

تحديداً؟

بعد الإطلاع على المصادر والمراجع المختلفة التي تحدثت عن الهلاليين من عدة جوانب تبين للباحث أنّه كان لدخول الهلاليين إلى بلاد المغرب الإسلامي، دوافع عديدة حددها في ثلاثة دوافع وهي:

أولاً: اضطرابات الدولة الفاطمية.

ثانياً: الأزمة الاقتصادية في مصر.

ثالثاً: الأوضاع في بلاد المغرب.

المبحث الأول: اضطرابات الدولة الفاطمية:

كانت الأوضاع السياسية في منتصف القرن الخامس الهجري عاملاً مهماً في دخول الهاليون إلى المغرب الإسلامي، ففي هذا الوقت عانت الدولة الفاطمية من الكثير من الاضطرابات التي أثرت في قوتها ومكانتها بمصر ومنها:

1- ضعف شخصية المستنصر بالله الفاطمي الذي ولى الخلافة وعمره سبع سنوات،⁽¹⁾

* ولم يستطع الخليفة بعد أن شب عن الطوق أن يسترجع صلاحياته في الحكم

من براثن الوزراء ورجال الإدارة والجند من أبرزهم : أبو محمد الحسن بن علي

اليازوري، أبو الفرج محمد بن جعفر البابلي، ناصر الدولة بن حمدان، مثلما فعل

جده الحاكم بأمر الله وظاهره ضعف سلطة الخليفة التي بدأت تظهر في عهد

الظاهر ظهرت هنا مكتملة الأبعاد، وكان المقريري قد أوردها على رأس العوامل

التي أفضت إلى الشدة المستنصرية وهي فترة مجاعة وفوضى شديدة ضربت

(1) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس (القاهرة: دار النهضة المصرية، 1998) ج/4ص317 .

* ولد المستنصر عام 1029 وتوفي عام 1094 وهو ثامن الخلفاء الفاطميين. تولى الحكم بعد وفاة والده وهو طفل صغير فتمكنت امه من تقلد مقاليد الحكم، توفي عن عمر يناهز 64 عاماً.

مصر، حتى كادت الدولة الفاطمية تنهار بالكامل، وتحولت الحياة فيها إلى حالة

من الإنهيار الاقتصادي والاجتماعي والسياسي (1).

كما حال ضعف المستنصر دون سيطرته على طموح القادة ورجال البلاط الذين أخذوا يحيكون الدسائس، فلم يكن له من الحزم وقوة الشخصية ما يجعله قادراً على كبح جماح أصحاب الأطماع ومدبري الفتن، وليس هذا أدل على الفوضى والاضطرابات واختلال الأمر وضعف الحكومة المركزية من أنه ولي الوزارة أربعون وزيراً في تسع سنوات وكان بعضهم يُصْرَف بعد أيام قلائل، بل بعد يوم واحد من تقلده هذا المنصب (2).

2- تدهور العلاقات بين آل زيري الصنهاجين مع الدولة الفاطمية فبعد أن خلفوا

الفاطميون في حكم بلاد المغرب الأدنى بعد مغادرة الفاطميين إلى مصر سنة

(362هـ/973م) وساروا على نهجهم في الدعوة إلى التشيع، ومحاربة أهل السنة

واضطهاد الفقهاء طيلة النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وأوائل القرن

الخامس الهجري (3) دبَّ الخلاف بينهم وتحديداً في عهد ابن باديس. وبمرور

الزمن حاول آل زيري الاستقلال بحكم المغرب، وقد تحقق ذلك فعلياً (4).

(1) المقرئ، إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق: مصطفى زيادة وجمال الشيال (القاهرة: دار الكتب، 1990) ص23. والشدة المستنصرية سميت بذلك فحدتها في خلافة المستنصر بالله الفاطمي ومدتها سبع سنوات (457-464هـ) وتعد أزمة لم تر لها البلاد مثيلاً في العصر الفاطمي كله وروعت الناس وجئمت على صدورهم ككابوس مخيف فكان لها انعكاسات لسياسة الدولة الفاطمية.

(2) راشد البراوي، تاريخ الدولة الفاطمية، ط1 (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1981) ص88.

(3) راجح بوتار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، (الجزائر: دار الهدى للنشر، 2000)، ص171.

(4) ابن خلدون، العبر، ج/6 ص144.

ويرجع سبب هذا الخلاف إلى أنّ المعز بن باديس كان يحتقر الوزير الفاطمي اليازوري في المخاطبات الرسمية، وقد تطور هذا الصراع، حيث أقسم المعز بن باديس ليقطعن طاعتهم وليحولن الدعوة لبني العباس في بغداد (العباسيين) وقد حدث ذلك وبايع الخليفة العباسي القائم أبي جعفر سنة 441هـ-1049م، وكانت هذه البيعة إعلان صريح لانفصال دولة بني زيري عن تبعية الدولة الفاطمية.⁽¹⁾ وبذلك كان المعز بن باديس من بين الحكام الذين خلعوا طاعة الفاطميين.⁽²⁾

بالمقابل اشتد الصراع المذهبي بين أهل السنة والشيعنة بعد قيام الدولة الفاطمية بإفريقية،⁽³⁾ والمغرب الأدنى سنة (296هـ/362م) (909هـ/973م) حيث عمل هؤلاء على جبر الناس على التشيع جبراً واضطهادهم على ذلك اضطهاداً عنيفاً.⁽⁴⁾

حيث ذكر ابن الدباغ في كتابه معالم الإيمان (605هـ/696م) (1296هـ/1208م) من ترجمته لأبي حسن بن خلدون البلوي الفقيه الكبير المتوفى سنة (407هـ/1016م) نصاً تاريخياً يشير إلى ذلك قائلاً: (أنه دخل عليه جماعة من المشاركة (شيعنة) من الشرطة مع علماء القيروان بعد

(1) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام الديني الثقافي الاجتماعي، العصر العباسي الثاني في الشرق والغرب ومصر، ط1 (بيروت: دار النهضة العربية، 1996) ص236.

(2) جورج مارسيس، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي، 1991، ص180.

(3) عبد العزيز المجدوب، الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، تقديم: علي الشابي (تونس: الدار التونسية للنشر، 1975) ص169.

(4) رابح بوتار، مرجع سابق، ص171.

صلاة العصر سنة (407هـ/1016م) فقتلوا أبا محمد الغرياني الفقيه وأصحابه حيث جرحوه جراحات قاتلة وتوفى بداره إثر هذه الجراحات).⁽¹⁾

ويرجع سبب قتله أنه لما قدم المعز بن باديس القيروان بعد موت أبيه واستفتاح ولايته يوم الجمعة منتصف محرم عام (1016/3407م) كان المعز منحرفاً من المذاهب الرافضة ومنتحلاً للسنة، وأعلن لعن الرافضة ثم صادر إلى قتل من وجد منهم حسب رواية ابن خلدون أنه كبابه فرسه، فنأدى مستغيثاً بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فسمعته العامة فثاروا لحينهم بالشيعة وقتلوهم أبرح قتل وقتل دعاة الرافضة.⁽²⁾

"ولجأت الشيعة إلى مساجد المهديّة فقتلوا فيها، ومروا على شيخ من العامة فسألهم عن تعلقهم به فقالوا نسير به إلى الشيخ أبي علي بن خلدون ننظر ما يأمر به، فقال لهم الشيخ: لا اقتلوه الآن، فإن كان رافضياً أصبتم، وإن كان سنياً عجلتم بروحه إلى الجنة الآن، فرعب المعز بن باديس منهم وأراد كسر شوكتهم فدبر قتل زعيم أهل السنة وشيخ هذه الدعوة".⁽³⁾

وبالتالي خطب المعز بن باديس للخليفة العباسي القائم (422/467هـ) (1031/1074م) على منبر جامع القيروان، وأمر باتخاذ السواد شعار العباسيين ونقش اسمه على السكة في الوجه الأول (ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) لا إله إلا الله وحده لا شريك له، محمد رسول

(1) أبو يزيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسديّ الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أصل القيروان، تحقيق: محمد ماضور (تونس: دار التونسية للنشر، 1978) ج3/153-154.

(2) أبو يزيد عبد الرحمن بن محمد، مرجع سابق، ص154-155.

(3) لسان الدين بن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، تحقيق أحمد مختار العبادي، دار الكتاب، دار البيضاء، 1964، ج3/72-73.

الله أمّا الوجه الثاني: (باسم الله ضرب بمدينة القيروان سنة إحدى وأربعين وأربعمائة) (يا أيها النبي

إنّا أرسلناك شاهداً ونذيراً وداعياً إلى الله).⁽¹⁾

كذلك ذكر ابن عذارى أنّ سبب قطع الدعوة العبيدية من الخطبة يوم الجمعة بالقيروان وغيرها، لمّا رحل بنو عبيد (الفاطميون) إلى مصر لم تزل ملوك صنهاجة يخطبون لهم بإفريقية ويذكرون أسمائهم على المنابر، وتمادى الأمر على ذلك حتى قطع أهل القيروان صلاة الجمعة فراراً من دعائهم، فكان بعضهم إذا بلغ إلى المسجد قال سراً (اللهم أشهد اللهم أشهد) ثم ينصر فيصلي ظهراً أربعاً، فتعطلت الجمعة دهرًا إلى أن رأى المعز بن باديس قطع دعوتهم، فكان بالقيروان لذلك سرور عظيم.⁽²⁾

وتعد القطيعة مع الفاطميين هي السبب الرئيسي في فتح طريق إلى المغرب الإسلامي أمام الهلاليين ودخولهم إليه لاسيما بعد أن عجز الفاطميون عن مواجهتهم عسكرياً، وجاء دخول الهلاليين إلى المغرب الإسلامي بموجب خطة وضعها الوزير اليازوري* الذي بعد أن تولى

(1) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام ج4، (بيروت: دار الجيل للنشر، 1996) ص226.

(2) ابن عذارى، البيان المغرب، ج1 ص277.

* هو الحسن بن علي بن عبدالرحمن أبو محمد اليازوري ينحدر من يازور إحدى قرى الرملة بفلسطين، تولى والده القضاء في قرية الرملة بزمان الفاطميين، ثم خلفه هو في القضاء، وصل إلى مصر عام 439هـ/1036م، تولى ديوان أم الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، وفي 441هـ/1049م أسند له منصب قاضي القضاء، وتولى منصب الوزارة سنة 442هـ/1050. تمتع بقدرات إدارية وحنكة سياسية عالية. وقد سخر اليازوري إمكانياته وما تمتع من قابليات خدمة لهذه الدولة سعياً منه إلى تثبيت أركانها وتقوية مدى أثرها على الصعيدين الداخلي والخارجي، فعلى الصعيد الداخلي شهدت فترة وزارته استنباباً لنظام الحكم الفاطمي، وتشجيع الحركة الثقافية والعلمية وعالج المشاكل الاقتصادية الكبيرة التي عصفت بالدولة خلال الأزمة الخطيرة التي مرت بمصر عبر النقص الحاد في مناسيب نهر النيل وما أصاب البلاد من تداعيات بسببها، استطاع تحجيمها وتجاوز محتتها، أما على الصعيد الخارجي فتمكن من كبح جماح تمرد الأمير المعز بن باديس في إفريقية على الخلافة الفاطمية من خلال تسخير القبائل العربية مثل هلال ورياح وزغبة وغيرها للنيل منه وهو في عقر داره، وكذلك دوره الفاعل ودهائه السياسي الذي تمكن بحذاقته من إيقاف زحف طغرل بك السلجوقي إلى الأراضي المصرية، واثره في دعم حركة البساسيري ضد الخلافة العباسية في بغداد، وتثبيت نفوذ الفاطميين في حلب، فضلاً عن إذعان البيزنطيين له وإجبارهم على الانصياع لمطالبه والتحسب له. وعند مصرع هذا الوزير سنة 450هـ/1058م ترك فراغاً سياسياً كبيراً ظهر أثره عندما أخفق أربعة وخمسون وزيراً جاؤوا بعده في معالجة مشاكل الخلافة الفاطمية مما اضطر الخليفة المستنصر بالله الفاطمي الاستعانة بوالي عكا بدر الجمالي سنة 466هـ/1073م لغرض معالجة الأزمات التي ألمت بدولته.

منصب الوزارة لم يخاطبه المعز بن باديس بما كان يخاطب قبله من الوزراء، كان يخاطبهم بعبارة مخاطب اليازوري بصنيعته، فعظم عليه فعاتبه فلم يرجع".⁽¹⁾

لقد شغلت مصر بمشاكل المشرق الإسلامي وتهديدات الصليبيين لها، لذا تجمع المصادر التاريخية على أن الوجود الهلالي في المغرب هو عقوبة من قبل الخليفة الفاطمي المستنصر بالله للمعز الزيري بعد إعلان الأخير القطيعة السياسية مع الدولة الفاطمية، ويختلف ابن الأثير عن بقية المؤرخين باعتبار أن فكرة المعاقبة تلك لم تخطر ببال الخليفة الفاطمي، بل كانت نتيجة مخاطبة المعز للوزير اليازوري بصفته من أهل البناتة والفلاحة بدل وزير، فلم يعجبه ذلك مما دفع اليازوري لإحداث وقية بين المعز والمستنصر بالله وأوحى له بالفكرة فشرعوا في إرسال الهلالين إلى المغرب الإسلامي وأمروهم بقصد القيروان وملكوهم كل ما يفتحونه ووعدهم بالعدد والمدد فدخل الهلاليون إلى إفريقية وكتب الباروني إلى المعز مهددا برسالة جاء فيها: "أما بعد فقد أرسلنا إليكم خيولاً فحولاً وحملنا عليها رجالاً كهولاً ليقضي الله أمراً كان مفعولاً".⁽²⁾ وأضاف بالقول "ان لم ترجع عن رايك، اتتك الجيوش موصلة سنابك خيلك، ناسخة بنقعها، ووميضها حكم نهارها وليها".⁽³⁾

(1) عبد الله المعموري، تاريخ المغرب والأندلس، ط1 (عمان: دار الصفاء للنشر والتوزيع، دت) ص351.

(2) عبد الحميد بوسماحة، رحلة بني هلال إلى الغرب وخصائصها التاريخية والاجتماعية والاقتصادية (الجزائر: دار السبيل، 2008) ج1/ص81

(3) الهادي روجيه ادريس، ج1، ص 249.

ولكن هل ثقة الفاطميين وعلاقتهم بالهلالين متينة حتى يدفعوا بهم لتأديب من خرج عن طاعتهم ولا يتبادر إلى أذهانهم أنه ربما يتحالفوا مع خصمهم ضدهم؟ أمّا أنّ إرسالهم هو عقوبة لهم ومحاولة للتخلص منهم؟

تعود علاقة الهلاليين بمصر عندما استمال القرامطة بقيادة زعيمها الأول حمدان بن الأشعب المعروف بقرمط عربي الأصل وإليه تنسب الحركة وسمى أتباعه بالقرامطة⁽¹⁾ وظهرت هذه الحركة في شرق الجزيرة العربية تحديداً إقليم البحرين القديمة (الاحساء والقطيف حالياً) على عهد الدولة العباسية حوالي سنة 278هـ-891م حيث استمالت إليها شيوخ بني هلال وبني سليم، ليكوّن منهم جيشاً قوياً هاجموا به على مصر واقاربوا من حدودها وهددوا العاصمة سنة 361هـ لكن الفاطميين تمكنوا من هزيمتهم ، ونتيجة لذلك أقدمت على الخليفة العبيدي وفود من الهلاليين يعلنون له البيعة والطاعة، فقبل بيعتهم وأمرهم بالرحيل من نجد كلها والقدم لمصر والاستقرار بها، ثم أقطعهم الجانب البحري من النيل حتى باتت المناطق التي شغلتها تعرف بها، وأضحى ذكر الهلالي في اللسان المصري مرادفاً للرجل القوي الشجاع المقدم، ويبدو أنّ الغاية من تشجيع الهجرة الهلالية إلى مصر كانت الرغبة في الاستعانة بهم في الحروب.⁽²⁾

(1) ابن الجوزي، عبد الرحمن القرامطة، تحقيق: محمد الصباغ، ط1 (المكتب الإسلامي، بيروت، 1981)، ص4.
(2) ميكائيل ياندي خوية، القرامطة (نشأتهم، دولتهم، وعلاقتهم بالفاطميين)، ترجمة: حسن زينة، ط1 (بيروت: دار ابن خلدون، 1978) ص153.

نظر الفاطميون إلى الهلاليين على أنهم جماعات يجب ترويضها بالتضليل والخديعة وشاهدوا رحيلهم عن مصر رحيلاً جماعياً لم تصدقه أعينهم.⁽¹⁾ ليقع بنو هلال تحت مؤامرة سياسية دبرت لهم من طرف الدولة الفاطمية لأنَّ المستنصر بالله قد تخوف من مغامرة عسكرية إلى إفريقية غير مضمونة النتائج لأنَّ الدولة تمر بمرحلة ضعف نتيجة المجاعات والفتن.⁽²⁾

كانت قبائل بني هلال مستقرة في صعيد مصر، وكانت تثير المشاكل وتشكل عبئاً ثقيلاً على الفاطميين، وكان لا يسمح لهم بالرحيل وإجازة النيل.⁽³⁾ ولما أعلن المعز بن باديس استقلاله عن الفاطميين سنة (435هـ-1043م) اهتدى الفاطميون إلى طريقة مثلى للتخلص من هؤلاء الأعراب "حيث تم إرسالهم إلى بلاد المغرب على شكل موجات هجرة بشرية فيتحقق لهم بذلك مجموعة من الأهداف في مقدمتها التخلص منهم، فإن ظفر الهلاليون بالمعز وعصبته صنهاجة كانوا أولياء الدعوة وعمالاً بتلك الناحية وارتفع عدوانهم على ساحة الخلافة، وإن كانت الأخرى فلها ما بعدها".⁽⁴⁾

(1) عبد الحميد يونس، الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، دم دن دت، ص57.

(2) عبد الحميد بوسماقه، رحلة بني هلال إلى المغرب، مرجع سابق، ص37.

(3) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولات وليفي بروفنال، ط3 (دار الثقافة، بيروت، 1983) ج1/ ص297.

(4) ابن خلدون، العبر، ج6، ص30.

استمر بقاء الهلاليين في مصر حتى عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (427-

487هـ) (*) الذي انتهت في سيطرت مصر على المغرب الأدنى الذي كان يحكمه بنو زيدي باسم

الخلافة الفاطمية.

وهذا الأمر يدعو للتساؤل عن المذهب الذي كان عليه بنو هلال بالمشرق لاسيما وأن ابن

خلدون كان قد أشار إلى أن دخولهم جاء بعد انقراض القرامطة في دعوة الشيعة العبيدية. (1)

فهل يمكن أن يُعد هذا التحول من طرف إلى آخر بأنّ ولاء بني هلال ودخولهم في طاعة

القرامطة ثم الفاطميين لا يعبر عن مذهبهم الديني بقدر ما يعبر عن طبيعة الواقع السياسي

والعسكري للمشرق الإسلامي آنذاك؟ ومع ذلك فإنه ليس من السهل تبرير انتقالهم من مذهب

إلى آخر وذلك بمجرد ربط الأمر بالظروف السياسية والعسكرية لأن سرعة التحول والانتقال من

مذهب إلى آخر يعبر أيضاً عن ضعف الوازع الديني عندهم ومن ثم يكون ابن خلدون محقاً في

وصفه لهم بأنّ الوازع مفقود عندهم منذ كانوا. (2)

وبعد رحيل الفاطميين من بلاد المغرب وتركوها إلى بني زيدي، وإذا كان من طبيعة الهلاليين

التمرد والفوضى والسلب والنهب فقد كان من الأرفق سياسياً أن يرمي بهم الفاطميين من منطقتهم

(*) هو ولي أبو تميم معد الملقب بالمستنصر ولد سنة 427هـ، عرفته الحياة الاقتصادية في حكمه الغلاء والقحط إلى حد تجاوز الوصف، حتى أنه جلا من مصر خلق كثير، ومات سنة 487هـ، المقرئ، الخطط، ص355.

(1) مصطفى بن عريب، مجتمع المغرب الأوسط المتغيرات والعلائق (من القرن الرابع الهجري إلى سقوط دولة الموحدين 668هـ/1269م، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2017، ص112.

(2) مصطفى بن عريب، المرجع السابق، ص112.

إلى منطقة خصومهم من بني زيري،⁽¹⁾ والدعاء للخليفة العباسي القائم بأمر الله، إلا أن المستنصر بالله الفاطمي كتب إلى المعز بن باديس يرغبه ويرهبه، ويقول في إحدى رسائله: (هلا اقتفيت آثار من سلف من أباتك في الطاعة والولاء) فلم يذعن المعز بن باديس لوعيد الخليفة المستنصر بالله، ولم يرهبه تهديد المستنصر بإرسال الجيوش لتأديبه فكتب المعز إليه: "إنَّ أبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب قبل أن يملكه أسلافك".⁽²⁾

وأخيراً اقتنع الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ووزيره اليازوري بالانتقام من المعز بن باديس،⁽³⁾ بعد أن استنفذ كل السبل لذلك قطع جميع قنوات الاتصال بينهما وقام بإرسال الهالبيين من موطنهم بالصعيد باتجاه الغرب، فلما تم له ذلك وصل عامتهم ليعيروا ديناراً لكل فرد،⁽⁴⁾ وقال الخليفة في رسالة للمعز بن باديس: "أمّا بعد فقد أرسلنا إليكم خيولاً فحولاً وحملنا عليها رجالاً كهولاً ليقضي الله أمراً كان مفعولاً".⁽⁵⁾

وبهذا أراد الخليفة المستنصر بالله تقويض سلطان المعز بواسطة هذه القبائل وقد اتفق معهم على أن يذهبوا جماعات وأفراداً إلى إفريقية، فتوافدوا على بلاد المعز بن باديس الذي حاول إقناعهم بالدخول في خدمته وضمهم إلى جيشه لكن مقدمهم مؤنس بن يحيى الذي أجابهم أنهم

(1) جمال الدين أبو المحاسن الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد شمس الدين (دار الكتب العلمية، بيروت 1992) ج5/ص52.
(2) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأدب في فنون الأدب، تحقيق: عبد المجيد ترحيبي، ط1 (دار الكتب العلمية، بيروت، 2004) ج24/ص116.
(3) اليازوري، محمد الحسن اليازوري تولى الوزارة 442هـ، لقب بالوزير الأمل المكين سيد الوزراء وتاج الأمراء قاضي القضاة وداعي الدعاة، كان من أهل الزراعة في الشام، للمزيد ينظر: النويري، نهاية الأدب، ج29/ص116.
(4) عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الوسيط (الإسكندرية: مؤسسة الشباب الجامعي، 2008) ص581.
(5) ابن خلدون، العبر، ج6/ص20، وإلهام دحروج، مدينة قابس من الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية، إشراف: محمد البركات البيلي (القاهرة: منشورات كلية الآداب، 2000) ص109.

لن يستطيعوا أن يكونوا في جيش المعز وعليهم مهادنتهم وصاهر منهم ثلاثة من بناته، لقد جاءوا للتمتع بالسلطة ليكونوا في خدمة المعز وهذا ما يوضحه قول المستنصر لهم: "لقد أعطيتكم المغرب وملك المعز بن باديس الصنهاجي العبد الأبق فلا تفتقرون".⁽¹⁾ وكان لضعف بني زيري في بلاد المغرب الأدنى دور في نهاية دولتهم.

نجح الفاطميون في الانتقام من المعز، لكنهم لم يستفيدوا كثيراً من ذلك، إذ أن مصر دخلت بعد مقتل الوزير اليازوري سنة 450هـ-1058م في فترة من الاضطرابات، وقيام الفتن بين فرق الجيش وتعرضها لمجاعة طاحنة استمرت سبع سنوات عرفت بالشدة العظمى، وأخذت مصر تهتم بمشاكلها الداخلية أكثر من اهتمامها بخلافاتها مع المغرب.⁽²⁾

إنَّ المستنصر بالله الفاطمي لما أرسل الهلاليين إلى بلاد المغرب الإسلامي تحصل على أمصارها وثغورها لشيخ القبائل فعقد لموسى بن يحيى المرديسي على القيروان وباجة، وعقد لزغبة طرابلس وقابس، وعقد لحسن بن سرحان على قسنطينة ليولي مشايخهم ولاية إفريقيا فيصيب بحجر واحد هدفين معاً التخلص من وجود الأعراب في الأراضي المصرية، ومن المعز بن باديس.⁽³⁾

(1) ابن خلدون، العبر، ج6/ص 14

(2) المقرئ، البيان والأعراب، ص 26.

(3) زينب نجيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ج2 (دار الأمير للنشر، بيروت، 1995) ص204.

المبحث الثاني: الأزمة الاقتصادية في مصر

لقد مرت مصر على امتداد التاريخ الفاطمي بعدد من الأزمات والنكبات الاقتصادية التي تكاثفت عوامل متعددة واتخذت مجتمعة لإحداثها كالمجاعات والأوبئة وانهايار الاقتصاد المصري آنذاك، مما كان له أثر على حياة السكان في العصر الفاطمي.

كان ازدهار الاقتصاد المصري في فترة الخلفاء الفاطميين الأوائل، حيث عاشت مصر أول عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي حالة من الرخاء وسعة العيش فقد ظهر واضحاً من خلال وصف كثير من المؤرخين والرحالة لثروة الخليفة والناس، أمّا ثروة الخليفة فقد كان له عمائر كثيرة تدر عليه المال الوفير تقدر بحدود ثمانية آلاف بيت وعشرون ألف دكان إيجارها يتراوح بين عشرة دنانير إلى دينارين شهرياً فضلاً عن امتلاكه لمجموعة من الأربطة والحمامات، والأبنية الأخرى الكثيرة التي لا حصر لها وكثير من قطع الأراضي الزراعية،⁽¹⁾ وبالإضافة إلى اشتغاله بصناعة النسيج ولديه العديد من المصانع فضلاً عن مورد آخر يدر عليه مالاً كثيراً وهو الخمس في كنوز مصر القديمة يقول المقرئزي: (بمصر كنوز يوسف عليه السلام- وكنوز الملوك قبله والملوك من بعده لأنه كان يكنز ما يفضل من النفقات والمؤون لنوائب الدهر).⁽²⁾ "وتمتع عامة الشعب في بعض الأحيان بالرفاه الاقتصادي، ومحاكاتهم للحكام والطبقة الخاصة في حياة الترف

(1) ناصر خسرو، سفر نامه، ترجمة: يحي الخشاب، ط2 (مطبوعات البنك العربي الدولي للمعلومات، القاهرة، 1970) ص88-89.

(2) المقرئزي، المواعظ لاعتبار بذكر الخطط والآثار (مكتبة الثقافة العربية، القاهرة، دت) 86/1.

والبذخ التي كانوا يعيشونها فقد كانوا يمتلكون أموالاً طائلة وأسواق مصر عامرة بجميع الأصناف والمواد الغذائية من البقوليات والخضروات والفواكه وجميع أنواع الزهور وهذا يدل على رخاء وغنى الناس⁽¹⁾ إلا أنه سرعان ما تبدل، فالاستقرار الاقتصادي لم يظل على وتيرة واحدة طوال ذلك العصر، حيث إن عوامل التدهور الاقتصادي كانت تتكاثف وتتحدد من وقت إلى آخر معلنة عن وجودها مهددة لاستقرار الشعب وحياتهم الاقتصادية.⁽²⁾ ما أدى إلى تفشي الأوبئة والأمراض، ومن ثم إلى وفاة أعداد كبيرة من الناس، والتي يعبر عنها المقريزي بقوله (بأحوال الوجود وطبيعة العمران). وكذلك "وينتج عن قصر نهر النيل عن الجريان وانخفاض منسوب المياه مما يترتب على ذلك عدم توافر المياه اللازمة لزراعة الأرض".⁽³⁾ مما يزيد الوضع الاقتصادي سوءاً.

وقد شهدت مصر الفاطمية سلسلة من المجاعات على فترات زمنية متلاحقة نقلها المقريزي في كتاب إغاثة الأمة أبرزها مجاعة سنة 338هـ، 341هـ، 352هـ، وأيضاً مجاعات سنة 358هـ، وسنة 387هـ، وسنة 395هـ، وسنة 398هـ

وأبرزها التي ظهرت بالعهد الفاطمي والتي كان أعنفها وأشدّها تأثير مجاعة سنة 444هـ/1052م. وما اشار له شارل اندري جليان في تاريخ افريقيا الشمالية يؤكد ذلك حيث قال: (وزاد من أعباء

(1) ناصر خسرو، سفر نامه، مرجع سابق، ص106.

(2) نجوى كبيرة، حياة العامة في مصر في العصر الفاطمي (مطبعة زهراء الشرق، القاهرة، 2004) ص140.

(3) المقريزي، إغاثة الأمة وكشف الغمة، ص12-13.

الدولة الفاطمية المجاعات التي اثرت على الاقتصاد).¹ فما هي الأسباب التي كانت وراء ظهور

تلك المجاعات؟

مرت بمصر الفاطمية بمجموعة من الأزمات المختلفة التي خلفت مجاعات وأوبئة أدت إلى هلاك

الاف البشر هذه الأزمات كان حدوثها عائدا لعوامل مختلفة منها:

1- ضعف السلطة المركزية وسوء سياسة الحكام والأمراء وعدم الاهتمام بشؤون الرعية

وإغفال مصالحها، وهذا عائد لأن من سلمت لهم المناصب في الدولة من وزراء

وقضاة غير مؤهلين لذلك وكان مهمهم هو تحقيق مصالحهم الخاصة وان يستفيد

من مدة وجوده بالمنصب في جمع المال.² حتى أنه ووفق ما نقله المؤرخين عن

عشرون وزيرا في اربع سنوات.³

2- تدخل ام المستنصر بالله في الحكم وتقريبها لبعض الوزراء، ومنحهم صلاحيات

سمح لهم بها من اتباع سياسات كانت سببا في استفحال المجاعات. مما أضعف

سياسة الدولة لاسيما في عهد وزارة أبي محمد علي اليازوري الذي تقرب من أم

المستنصر فنال منصب أعمال ديوانها وتولى الوزارة وقد وقعت المجاعات في

وزارته سنة (444هـ - 1052م).⁽⁴⁾

(1) شارل اندري جليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، ج2، ص96.

(2) المقرئزي، إغاثة الامة، ص13-16.

(3) ظهور الخلافة وسقوطها في مصر، (دار الفكر العربي، القاهرة، ط4)، 1994م، ص 307-311.

(4) ظهور الخلافة وسقوطها في مصر مصدر سابق، ص76.

لقد أدرك الوزير خطأه فحاول معالجة الأزمة معالجة ارتجالية فقام بانتزاع ما في مخازن
التجار من غلال وختم عليها وأودعها في المخازن السلطانية،⁽¹⁾ كما عمل على استيراد القمح
وذلك بالتفاوض مع ملك الروم (قسطنطين التاسع) * .⁽²⁾

وبالتالي تم القضاء على هذه الأزمة إلى حين فتوسع الناس لمدة عشرين شهراً إلا أنّ هـ
عادت تلك المجاعات من جديد لاسيما بعد تدخلت أم المستنصر في الحكم بعد وفاة اليازوري،
فكان قد عم الفساد والجوع والغلاء بحيث لم تستطع أم المستنصر أن تعالج تلك المجاعات آنذاك
وقد لاحظ المقرئ ذلك عندما ذكر: "إن سبب استفحال المجاعات هو اختلال أموال المملكة
وضعف السلطة المركزية".⁽³⁾

3- انتشار الثورات المتتالية والعديدة بسبب سوء الإدارة الفاطمية آنذاك، منها ثورة أبي

ركوة (376هـ/1005م) * رغم ان هذه الثورة سابقة لهجرة الهلاليين إلا أنّه كان لها

اثر استمر للمدى البعيد في عهد الحاكم بأمر الله التي كان لها أثر كبير في زيادة

الأسعار واشتداد وخوف الناس بخروج العساكر لحربه، وبات الناس في الشوارع

(1) ساويرس بن المقفع، تاريخ البطارقة، تحقيق: عبد العزيز جمال الدين، ط1 (مكتبة مدبولي، القاهرة، 2006)، ج 2/ ص532.
* امبراطور بيزنطي من الإمبراطورية البيزنطية اختارته الامبراطورة زوي كزوج ومساعد لها في حكم الإمبراطورية حيث حكم معها
خمس سنوات راعى فيها الحكمة وسلامة الذوق اختار لمعاونته رجالا من ذوي الكفاية والثقافة، حكم من 11 يونيو 1042 حتى يناير
1055، وعند حدوث المجاعة في مصر ارسل لها شحنات من الحبوب.

(2) المقرئ، إغاثة الأمة، ص151، والمقرئ، اتعاط الحنفاء، ج 2/ ص266.

(3) المقرئ، إغاثة الأمة، ص22.

* أبو ركوة هو امير اموي، ثار على الدولة الفاطمية توفي عام 399هـ/1009م، من نسل عبدالملك بن مروان ولد بقرطبة رحل من الاندلس
إلى مصر واشتغل بالحديث، كان ينحو نحو المتصوفة، ويحمل ماء كما كانوا يفعلون فسمي منها أبو ركوة، تجول في مكة واليمن ثم استقر
ببرقة، حث على التمرد على الحاكم بأمر الله فتبعته عدة قبائل ودخل مصر حتى وصل الصعيد وعظم امره حيث خطب له الناس في
المنابر، ودعا نفسه الثائر بأمر الله وسك العملة باسمه.

خوفاً من هجوم أبي ركة وعساكره عليهم، واستمر القتال وضربت الفيوم ونهبت،

وقد كلفت هذه الحرب ميزانية الدولة الكثير من الأموال للقضاء على هذه الثورة.⁽¹⁾

والتي جندت العساكر لإخمادها، الذين وجدوا فيها فرصة لبسط نفوذهم وزيادة

نصيبهم من ثروات البلاد، فطالبوا بزيادة رواتبهم والدولة مجبرة قبلت بذلك حتى

خلت خزائن الدولة، واجبر الخليفة على بيع الجزء الكبير من ممتلكاته لإرضائهم

بل وصل بهم الحال للسيطرة على الأراضي الزراعية واحتكارها لأنفسهم.⁽²⁾

4- اعتماد الدولة الفاطمية على عناصر أجنبية في حفظ الأمن من المغاربة والأرمن

والأتراك ما سبب وجودهم انعدامه بدل حفظه، ويعود ذلك للتنافس والنزاعات الدامية

بينهم ما خلف آثار سيئة على أحوال مصر الداخلية⁽³⁾ حتى وصل الأمر إلى نهب

الناس وخزانة السلطان وتزايد مطالبتهم بالمبالغ الكبيرة بحجة حماية الدولة.⁽⁴⁾

وقد أكد النويري⁽⁵⁾ على أن سبب المجاعات والغلاء الذي تعرضت له مصر عائد للخلافات

والحروب حيث يقول في ذلك " إنَّ الغلا لم يكن بسبب نقص مياه النيل، وإنما كان لاختلاف

الكلمة وحروب الأجناد وتغلب المتغلبين على الأعمال، فلم يوجد من يزرع الأرض،

وانقطعت الطرق برا وبحرا"

(1) يحي بن سعيد الأنطاكي، صلة تاريخ أوتيا، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري (لبنان: جروس برس للطباعة، 1990) 267/2.

(2) مجاعات مصر الفاطمية أسباب ونتائج- دار التضامن، لبنان، ط1، 1988، ص51.

(3) روجيه ادريس، الدولة الصنهاجية، ج1، ص212.

(4) تاريخ الدولة الفاطمية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1998م ص93-100.

(5) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب، نهاية الأرب ج 28، 733/1333م، ص150.

2. ضعف نهر النيل عن الجريان وانخفاض منسوب المياه أثر بدوره على الزراعة وأدى إلى

تراجعها والتي بدورها أثرت على الحياة الاقتصادية.

حيث وصف المقرئزي⁽¹⁾ ذلك بالقول " أن قصر مياه النيل السبب في هذه المجاعة مع

قلة الغلال في المخازن ومياه نهر النيل سبب أساسي للمجاعات في مصر الذي نتج عنه

قلة الحبوب، ومن ثم ارتفاع في الأسعار فغلاء فمجااعة".

إنَّ انخفاض نهر النيل وارتفاعه عن الحد المناسب يؤدي إلى حلول القحط ونقص الغلات

ومن ثم تؤدي هذه الحالة إلى ضمور الأجساد وهزال الدواب لنقص التغذية التي يعجز

الإنسان والحيوان عن تحمل الجوع فيتساقطون موتى في الطرقات، وربما تبقى الجثث

ملقاة في العراء لأيام لا يوجد من يوارئها الثرى فتتعفن وينتشر الوباء من جراء هذه

المجاعات. وللعلم أنه قبل دخول الفاطميين إلى مصر حدثت أزمة سنة (352هـ - 963م)

وذلك في عهد الدولة الإخشيدية، واستمرت إلى مجيء الفاطميين فيقول المقرئزي⁽²⁾ أنه

"توقفت زيادة النيل عن خمسة عشر وأربعة أصباع فارتفعت الأسعار وتضاعفت أثمان

البضائع ونقص الخبز نتيجة لارتفاع سعر القمح وفي السنة التالية نقص ارتفاع النيل

حتى وصل ثلاثة عشر ذراعاً، فازداد الغلاء واشتعلت الفوضى بين الناس ووقع النهب في

الضيااع والغلال".

(1) المقرئزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ص25.

(2) المقرئزي، المصدر السابق، ص12-13.

3. انتشار الفوضى اللصوصية وتفشي الطمع عند التجار حيث عمد السماسرة والتجار اسلوب السيطرة على المحاصيل الزراعية قبيل نضجها، وذلك بشرائها من المزارعين وتخزينها، وعند ارتفاع سعرها يتم عرضها وهو ما يجعل الحكومة في أزمة اقتصادية وتجبر أن تعدل السعر وفق رغبات التجار وعدم مقدرة الناس على الشراء.⁽¹⁾

تلك المجاعات التي ظهرت في مصر تعددت مظاهرها ونتائجها ومن أبرزها (2) :

1- غلاء المعيشة حيث ارتفعت أسعار المواد الغذائية والحبوب، فبيعت البيضة بعشرة دراهم، ورغيف الخبز بأربعة عشر دينار. ووصل أرب القمح إلى مائتي دينار، وقد ورد عن النويري⁽³⁾ في هذا الشأن قوله إن: "رغيف الخبز يبيع بأربع عشر دينار، وبيع أرب القمح لمأتي دينار". وقل المخزون الغذائي وقد ارجع السبب لذلك لقرار المستنصر وبرأي وزيره اليازوري بإخراج ما في خزانته من غلال وبيعها خوفا من فسادها.

2- تذبذب قيمة الدينار الذهبي الفاطمي مع حالة الإنخفاض الحاد عام 444هـ.

3- انتشار الفوضى والسرقة، وقطع الطرق، وتخريب الأحياء، والاعتداء على المارة والخطف، وتعطلت التجارة. رافقت ظاهرة المجاعة في مصر كثرة الفوضى واللصوصية وانعدام الأمن وضعف الحكومة حيث انتشرت السرقات والنهب وتهيأت الفرص أمام السراق واللصوص

¹ راشد البراوي، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1998)، ص81.

(2) أحمد السيد الضاوي، مجاعات مصر الفاطمية أسباب ونتائج- مرجع سابق، ص51.

(3) شهاب الدين أحمد النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: نجيب مصطفى فواز، وحكمت فواز (بيروت: دار الكتب العلمية، 2004) 69/26.

وقطاع الطرق وفقراء البدو ولم يتورع أحد عن الاعتداء على غيره، أمّا السبل وطرق
المواصلات بالبر والنيل فانقطعت بسبب تعرض المسافرين وغيرهم لاعتداء الجنود
اللصوص وخربت أحياء بأكملها في الفسطاط وحرقت دور كثيرة وتعطلت التجارة
والصناعة.⁽¹⁾

لقد تفشت ظاهرة السرقة حتى امتدت أيدي الناس إلى قصر الخلافة حيث تم تجريده من كل
سلطانه وأمواله. وأسقطت هيئته أمام الرعية واجبر أن يبيع ما في خزائنه حتى أمست خزائنه
فارغة⁽²⁾ هذا وقد فقد الخليفة المستنصر بالله كل ثرواته من الذهب والفضة والجواهر والأمتعة،
كما نهبت المكتبات وسرقت الكتب وبيعت بأثمان بخسة وبلغ الأمر ابن حمدان أنه أخذ يرأسل
الدول الأخرى باعتباره صاحب مصر فأهدى إلى ملك الروم هدية جلييلة تساوي نحو أربعين ألف
دينار وتشمل أواني البلور والأنواع الفاخرة من الثياب، ويبدو ذلك مما نهب من خزائن القصر.⁽³⁾
وأشار المقرئزي⁽⁴⁾ إلى عمليات النهب التي لحقت بالشدة المستتصرية بقوله: "ويتعجب بأن
الحكومة كانت تغض الطرف عما نهبه الجند من قصور الخليفة لئلا يمتد شرهم إلى الشعب
فيزيدونه بؤساً وشقاءً فلم تعترضهم الدولة، ولم تلتفت إلى قدر الكنوز التي كانوا ينيهونها، بل
جعلتها هي وغيرها فداءً لأموال المسلمين وحفظاً لما في منازلهم".

(1) راشد البراوي، حالة مصر الاقتصادية في زمن الفاطميين، ص 95-96.

(2) أحمد الصاوي، مجاعات مصر الفاطمية، ص 82.

(3) القاضي الرشيد بن الزبير، الذخائر والتحف، تحقيق: محمد حميد الله (الكويت: سلسلة التراث العربي، 1959) ص 85.

(4) المقرئزي، الخطط، ج 1/ ص 376.

أكل الناس الجيف والكلاب والقطط ووصل بهم الحال إلى نبش القبور وأكل الأموات وانتشرت الأوبئة ورميت الجثث في النهر فشرب منه الناس وأصابهم الوباء. ووصف ذلك عبداللطيف البغدادي⁽¹⁾ بالقول "يئس الناس من زيادة النيل، وارتفعت الأسعار، واقحطت البلاد وأشعر أهلها البلاء وهرجوا من خوف الجوع، انظوى اهل السواد والريف إلى أمهات المدن وانجلى كثير منهم"²

أما الآثار التي خلفتها تلك المجاعات في مصر على البلاد والعامّة فكانت مختلفة حيث سادت الفوضى والاضطرابات وانهار الأمن، وصار الخليفة المستنصر عاجزاً على إدارة البلاد وتولى محله بعض أفراد الحاشية، واشتغل سادة القوم في صغار المهن.

حيث يروى "أنّ رجل دخل الحمام فقال له الحمامي: من تريد ان يخدمك، سعد الدولة، أو عز الدولة، أو فخر الدولة، فقال له الرجل: اتهازأ بي، فقال: لا والله، انظر إليهم، فنظر فإذا أعيان الدولة ورؤساؤها صاروا يخدمون الناس في الحمام"³.

وبذلك فقدت الدولة هيبتها وبدأت ملامحها تتلاشى فانشق عليها الأتباع وتوقف ضرب السكة باسم الخليفة في بلاد افريقية وتوقف ذكره في خطبة الجمعة.

(1) عبداللطيف البغدادي، الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعينة بأرض مصر، إشراف عبدالرحمن عبدالله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط2، 1988، ص132.

(3) ابن تغري بردي، دعد جمال الدين أبو المحاسن الأتابكي (ت 874هـ/1464م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين (دار الكتب العلمية، بيروت، 1992) ص4-19.

كما أثرت المجاعات سلبا في اقتصاد الدولة فارتفعت أسعار كل المواد الغذائية من حبوب ولحوم وزيدت الضرائب على المراعي والمصائد والبضائع والتجارة الداخلية وتقلصت المساحات المزروعة

وبالتالي انخفضت إيرادات الدولة وترتب عليها عدم مقدرتها على الوفاء بالتزاماتها. (1)

أيضا خلفت هذه المجاعات حالة كبيرة من الفقر ومن جهة أخرى انتشر الترف وكونت طبقات متباعدة عن بعضها البعض اقتصاديا فصار أغلبية عظمى لا تملك شي وأقلية تملك كل شي وأصبح الجند والتجار في قمة الثراء وتراجعت مكانة الفلاحين. (2)

ازدياد حدة المجاعات في حكومة الخليفة المستنصر بالله قبيل الشدة المستنصرية لاسيما بعد وفاة الوزير اليازوري كانت إيذانا بقيام الفوضى وازدياد المجاعة حيث تعاقب الوزارات في الحكم دون أن تكون لها من النفوذ ما تكبح به الجند الذين زادوا حدة الفوضى والأزمات، وعن ذلك ما ورد من ابن الصيرفي إلى سوء الإدارة عند تولي أحد الوزراء وهو (العجمي) سنة (455هـ/1063م) فيقول: "وليها والعزائم قد وهنت، وأسباب الفساد قد بلغت الغاية وانتهت والمراقبة قد نذرت وقلت، والمهابة قد تلاشت واضمحت". (3)

ومن الآثار الخطيرة التي ترتبت عن تلك المجاعات انتشار الأوبئة منها الوباء الذي استمر حوالي ثماني سنوات (من 446هـ/1054م-إلى 454هـ/1062م) وكانت الوفيات تقدر يوميا بالف

(1) احمد الصاوي، مجاعات مصر الفاطمية ، (دار التضامن، بيروت ، ط1)، 1981ص54-وما بعدها.

(2) عبدالمنعم ماجد، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها، القاهرة، د.ط، 1968، ص 284-298.

(3) ابن الصيرفي، أمين الدين أبو القاسم علي بن ميخب بن سليمان، الإشارة لمن نال الوزارة، تحقيق: أيمن فواد السيد (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، دت) ص50.

شخص، وكان الجدري والطاعون من أخطرها وأوسعها انتشاراً، وقيل أنه مات مليون وستمائة وخمسون ألفاً إذ يذكر ابن تغري بردي: في يوم مات ثمانية عشرة ألفاً، وكان المستنصر بالله يكفن بالعشرين ألفاً على حسابه، ويبدو أنه فنا ثلث أهل مصر⁽¹⁾. ولكن تلك الأرقام يبدو مبالغاً فيها حينها.

ومن كثرت الوفيات حتى أنه وصف أحدهم الحال فقال كانت الأسواق لا يرى فيها أحد، وأن مصر قد فر منها خلق كثير إلى الأمصار المجاورة، ففي خلال السبع سنين من الشدة جاء الوباء فحصد الأرواح بمنجله حصادا ذريعاً، فكان يكتسح الديار داراً بعد دار، ولم يكن هناك فرق بين عظيم وحقير، بل نالت المصيبة الجميع على السواء⁽²⁾.

لقد كان للعامل البشري دور عميق في إطالة عمر هذه الأزمة والتي كانت عن سنة (457هـ-464هـ) وكانت هذه السنين السبع يمد النيل فيها ويطلع وينزل فلا يجد من يزرع أراضي مصر من اختلاف العسكر وانقطاع الطرقات في البر والبحر، ولم يكن هذا الغلاء الشديد راجعاً معظمه إلى قصور النيل، وإنما كان السبب الأساسي اختلاف الكلمة وانعدام الأمن والحروب الناشئة بين طوائف الجند، وصارت الأراضي بائنة. لم تزرع من عدم الرجال، فكان الجندي يخرج بنفسه هو وجماعته يحرثون ويزرعون في البلاد لعدم وجود الفلاحين⁽³⁾.

(1) ابن تغري، مرجع سابق، ص60.

(2) سليم محمد الشريري-محمد محمد المسعودي، المجاعات والأوبئة في مصر خلال حكم المستنصر بالله الفاطمي "الشدة العظمى أنموذجاً" 1071-1065/464-457م مجلة البحوث الأكاديمية، جوان، 2019، ص137.

(3) محمد بن أحمد بن باديس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى (دار الكتب، القاهرة، 2008) ص61.

مما سبق يتضح لنا ان هناك عديد القبائل التي هاجرت من مصر بسبب المجاعات المستفحلة وقصدوا بلدانا أخرى استقروا فيها واثروا بها منهم تحديدا قبائل بني هلال الذين تناولتهم الروايات التاريخية وتضاربت بشأنهم الاقاويل فالبعض وصف هجرتهم بالكارثة والبعض نفى ذلك. وأن العوامل الطبيعية لم تكن عاملاً رئيساً في سنين الشدة المستتصيرية حيث لا يمكن القول إن نقصان منسوب نهر النيل ، بل أن النيل قد بلغ حد الوفاء في بعض سنين الأزمة لذا يجب أن لا نحمل العامل الطبيعي والجزء الأكبر من تلك الأزمة العتية وهذا ما أكده عدد من المؤرخين،⁽¹⁾ بل أن العوامل البشرية لعبت دوراً كبيراً في تلك الأزمة والشدة.

المبحث الثالث: الأوضاع في بلاد المغرب

فكر الخليفة الفاطمي المعز لدين الله⁽²⁾ (وهو معز بن إسماعيل بن محمد بن عبيد الله الملقب بالمعز لدين الله الفاطمي وهو الخليفة الرابع تولى الحكم بعد وفاة أبيه القاسم سنة (334هـ)، غزا بني أمية في الأندلس وغزا بلاد الروم عند اتخاذ قراره بالرحيل إلى مصر سنة (362هـ/973م))، في البحث عن من يخلفه في بلاد المغرب فوق اختياره على أبي أحمد جعفر بن علي الأمير، فاستدعاه، وأسر إليه أنه يريد استخلافه فكان رده بان يترك معه أحد أبنائه حيث قال : "تترك معي أحد أولادك أو أخوتك جالسا في القصر وأنا أدبر، ولا تسألني عن شي من الأموال إن كان ما اجبيته بازيد ما

(1) للمزيد ينظر: المقرئ، إغاثة الأمة، ص19-25، وابن الصيرفي، الإشارة لمن نال الوزارة، مصدر سابق، ص75، وابن إياس الحنفي، بدائع الزهور، مصدر سابق، 25-24/1.

(2) النعمان بن محمد قس القاضي، افتتاح الدعوة وبداية الدولة، تحقيق: فرحات الدشراوي، ط2 (تونس: الشركة التونسية للنشر، 1996) ص300-301.

أنفقه، وإذا أردت أمرا فعلته ولم أنتظر ورود الأمر فيه، لبعد بين مصر والمغرب ويكون تقليد القضاء والخوارج وغيره من قبل نفسي".⁽¹⁾ فرد أبي أحمد جعفر على المعز يدل على أمرين: أولهم أمّا أنّ الرجل كان صادقا مع المعز، ولم يعمل على مخادعته وكان يمكنه فعل ذلك. ولكن أراد أن يجعل الموقف منذ البداية بيده وفي ذات الوقت بموافقة من الخليفة الفاطمي حتى يأمن جانبه ولا يدخل فيما بعد معه في صراعات.

والأمر الآخر: لعل الرجل لم يستغل الفرصة وهذا عائد أمّا لعدم ذكائه، وأمّا ليقينه في قرارة نفسه أنه غير قادر على تسيير دفة الأمور فقال هذا القول حتى يكون رد المعز بالرفض.

فكان رد المعز بالغضب وقال: "يا جعفر عزلتني عن ملكي وأردت أن تجعل لي شريكا في أمري واستبددت بالأعمال والأموال دوني قم فقد أخطأت حظك وما أصبت رشداك"⁽²⁾

وبعدها استدعى المعز بلُكَيْن بن زيري بن مناد الصنهاجي - من قبيلة صنهاجة البربرية (هي من فرع تلكاتة)⁽³⁾، وقد سكنت صنهاجة في مساحات شاسعة؛ امتدت من جنوب المغرب الأقصى إلى القيروان بإفريقية، وهي منطقة صحراوية فضلوها عن غيرها، لأنها تتوافق مع طباعهم، ورغبتهم في الابتعاد عن الاختلاط بالناس، والفرار من الغلبة والقهر - ليتولى الإمارة بالمغرب

(1) قداري بن ديدة، تأثيرات الهجرات الهلالية علي المغرب الأوسط، رسالة ماجستير، جامعة مولاي الطاهر سعيدة، الجزائر، 2014، ص7.

(2) قداري بن ديدة، مرجع سابق، ص7.

(3) روجي إدريس، مرجع سابق، ص36.

خلفًا للفاطميين، فكان بلكين ذكيا في رده فقال " يا مولانا، أنت وآباؤك الأئمة من ولد الرسول صلى الله عليه وسلم، ما صفا لكم المغرب فكيف يصفوا لي، وأنا صنهاجي قتلتي يا مولانا بغير سيف ولا رمح"⁽¹⁾

اعجب المعز برد بلكين بن زيري، فعهد له بإمارة افريقية والمغرب، ونزع سيفه وقلده إياه وسماه اسما عربيا وكناه بأبو الفتوح. واستثنى من ذلك طرابلس الغرب، وأجدابيا وسرت، حيث اوكلها إلى عبدالله بن يخلف الكتامي.⁽²⁾ وعين معه زيادة الله ابن القديم على جباية الأموال⁽³⁾، وجعل عبد الجبار الخراساني وحسين بن خلف على الخراج، وأمرهما بالانقياد لبلكين بن زيري.⁽⁴⁾ وكان ذلك سنة 361هـ/972م

واجه بلكين عدة ثورات واضطرابات بالمغرب، كان منها عصيان أهل تيهرت سنة 362هـ، ثم سيطرت قبيلة زناتة على مدينة تلمسان، وقد توجه إلى تيهرت بجنوده وأعادها إلى طاعته، كما توجه إلى تلمسان وأعادها إلى حكمه في سنة (365هـ / 976م).⁽⁵⁾ وقبل وفاة الأمير بلكين أوصى بالإمارة من بعده لابنه المنصور الذي كان بمدينة أشير الذي استمر حكمه من 373هـ/984م إلى 386هـ/996م.⁽⁶⁾

(1) المقرئزي، إتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الخلفاء، نشره جمال الدين الشيبان، القاهرة، ج 1، 1996، ط2، ص99.

(2) جاك تيري، مرجع سابق، ص241.

(3) محمد طمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010، ص43.

(4) المقرئزي، اتعاظ الحنفاء، بأخبار الخلفاء، ص64.

(5) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن، الكامل في التاريخ، ترجمة أبو فداء عبدالقاضي، دار الكتاب العلمية، ط2، بيروت، 1992، ص65، 64.

(6) محمد طمار، مرجع سابق، ص52.

أرسل المنصور عماله إلى مواطن كتامة عام 376هـ (هذه المواطن التي تشير إليها المصادر التاريخية لأهميتها من الناحية الاجتماعية والاقتصادية ما جعلها محط اطماع من قبل أي قوة ناشئة في المغرب) (1) فجبوا الأموال في حين في السابق لم يكن يدخل إليها أحد وسيطروا على مواطن كتامة ومؤسساتها الاقتصادية.(2) فكان رد كتامة بإعلان الثورة على بني زيري الصنهاجيين ولكنهم هزموا فيها. وتمكن المنصور من القضاء عليها.(3)

وفي سنة 379هـ/990م عاد الكتاميون إلى الثورة والقتال فزحف إليهم المنصور، ودخل المنصور مدنهم ومنيت كتامة بخسائر بشرية ومادية كبيرة. (4)

وقد وصف ابن عذاري الحال بالقول "أن الصنهاجيين ملؤ موطن كتامة بالعسكر، واقنع له الأراضي، ووزع عمالها فيه فجبوا اموالها وضيقوا على أهلها".(5)

تولى من بعد منصور ابنه باديس (*) وتكنى بأبي مناد وخلفه أباه على المغرب في سنة (386هـ/996م) واستمر في ولايته حتى العام 406هـ/1016م. وأنته الخلع والعهد بالولاية من الحاكم

(1) امحمد انويجي غميص، الهجرة الهلالية وصد الغزوات الصليبية على افريقية والاندلس، مجلة العلوم الانسانية، كلية الآداب الخمس، سبتمبر 2016، ع 13، ص 40.

(2) محمد بن القاسم الرعيني القيرواني (ابي دينار)، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط3، لبنان، دار المسيرة، 1993، ص 99

(3) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في اخبار المغرب والاندلس، ترجمة بروفنسال، دار الثقافة، ط5، بيروت، 1995، ج1، ص229.

(4) ابن عذاري، المصدر نفسه، 244.

(5) ابن عذاري، المصدر نفسه، ص 216-

(**) هو أبو تميم شرف الدولة رابع ملوك بني زيري الصنهاجية التي حكمت إفريقية من سنة (362هـ/972م) إلى سنة (543هـ/1148م)، ولم تكن مدة حكمه تمثل أوج ازدهار وطول مدة حكمه توالت المصائب والكوارث على إفريقية بلا هوادة كاشفة عن نقائص نظام اقتصادي غلب عليه الاضطراب وأنهكه الإجهاد، وبقي المعز يمثل من إفريقية الرجل الذي ردّ للمذهب المالكي، مما أدى إلى كارثة زحف بني هلال على البلاد، مات أبوه في 30 ذي العقدة سنة 406هـ/1016م، أدى إلى تكريس تقسيم مملكة بني زيري نهائياً لصالح فرع الحماديين، وكان الأمير الشاب عند موت أبيه قد بلغ التاسعة من عمره ويقيم في المهديّة، وتم تنصيبه يوم 21 ذي الحجة سنة 406هـ/31 مايو 1016م، بدون حصول منازعة، للمزيد ينظر: لسان الدين بن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، تحقيق: أحمد مختار العابدي، ومحمد إبراهيم الكتاني (الدار البيضاء: دار الكتاب، 1964) ج3/73، وكذلك: العربي عبد الرزاق، دائرة المعارف التونسية (تونس: بيت الحكمة، 1994) ص66.

بأمر الله الفاطمي من مصر وبايع للحاكم، وأعلن تبعية بلاده لخلافته، ثم أقطع عمه حماد بن

يوسف مدينة أشير، وولاه عليها، وأعطاه خيلاً وسلاحاً، وجنوداً كثيراً. (1)

ويعد ابن باديس (386هـ/407م) (996هـ/1016م) من بين هؤلاء الحكام الصنهاجيين

الذي خلع طاعة الفاطميين وكان سبباً في هجرة بني هلال إلى إفريقيا. (2)

كانت القبائل الصنهاجية صاحبة الأمر والنهي وقد أغرقت في الترف، ونعيم الحياة المرفهة

والحضارة، وفقدت رواجها العسكري والقتالي واستعانت بالعبيد البدوي الميالين إلى القوة. (3)

وفي تلك الحقبة نفسها، ومنذ سنة (408هـ/1017م) دار الصراع بين زناتة وصنهاجة بناحية

طرابلس حتى أن عدداً مهماً من السكان أخلى من واحات الجنوب الشرقي، وتحول إلى وادي

أريغ وأوجلان. (4)

وفي سنة (423هـ/1029م) بلغت زناتة مشارف القيروان، وأعدت الكرة ثانية بعد خمس

سنوات وبقيت الحرب سجلاً بين الطرفين إلى حدود سنة (428هـ/1036م) وكما تمكن المعز

من صد هذا الهجوم والتقدم إلى بلاد الزاب. (5)

(1) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، تاريخ المغرب في العصر الوسيط، تعليق محمد أبو ضيف، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ج2، ص 122.

(2) جورج مارسية، بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، مراجعة: مصطفى أبو ضيف أحمد (الإسكندرية: منشأة المعارف، 1991) ص 180-181.

(3) عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة المغرب العربي (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1994) ج 1/ ص 172.

(4) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 160.

(5) شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس-الجزائر-المغرب الأقصى) من الفتح الإسلامي إلى سنة 830م، ترجمة: محمد مزالي والبشير بن سلامة (تونس: الدار التونسية للنشر، 1998) ج 2/ ص 82.

* من قبيلة امزيغية بربرية كانت تسكن جبال الاوراس قادت الامازيغ في مقاومة الفتح الإسلامي.

أدت الصراعات السياسية داخل البيت الصنهاجي إلى افتراق صنهاجة إلى دولتين دولة المنصور بن باكين أصحاب القيروان، ودولة بني حماد بن بكين أصحاب القلعة وتُعد سنة (432هـ/1040م) هي سنة هذا الانشقاق داخل البيت الصنهاجي،⁽¹⁾ بالإضافة إلى خروج المناطق المتطرفة عن سلطة المركز، مثل جهة طرابلس والحضنة والجريد، والصراع الصنهاجي على محور الأموي الزناتي.⁽²⁾

لقد عبر ابن خلدون⁽³⁾ عن الازدهار الاقتصادي للمملكة في زمن المعز بن باديس (406-454هـ) (1016-1062م) بالمغرب الأدنى بقوله: "وكان أضخم ملك عُرفَ للبربر بإفريقية، وأترفه وأبذخه"، ولكن امتداد هذا الازدهار الاقتصادي والحضاري الذي ظهر مع الأغالبة والذي أوقف نهضتها الاستغلال الضريبي للفاطميين، ثم استعادت قوتها بعودة السلام وأعطت أحسن ثمارها وأرقاها وآخرها.⁽⁴⁾

وقد كانت بلاد المغرب الإسلامي في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي منتجة للحنطة والزيتون بكثرة متزايدة وغنية ببساتين الفواكه.⁽⁵⁾

(1) ابن خلدون، العبر، ج 6 / ص 210 .
(2) محمد حسن، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي (تونس: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 1999).
(3) ابن خلدون، العبر، ج 6 / ص 210.
(4) جورج مارسية، بلاد المغرب، ص 206.
(5) سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين (الإسكندرية: منشأة المعارف، 1990)، ج 3/ص 435 .

وعلى الرغم من الازدهار الاقتصادي والحضاري الذي تمتعت به بلاد المغرب الأدنى، إلا أنه كانت هناك كوارث طبيعية واجتماعية واقتصادية اعاقت هذا الازدهار وجعلته في تراجع تتمثل في: (1)

- تراجع قيمة الدينار بدرهم عند الزيرين، إذ أضعاف الدينار الجديد نسبة كبيرة من قيمته، والدرهم ما نجم عنه ارتفاع الأسعار وازدياد الأزمة الاجتماعية.
- إن الحملات الصنهاجية على واحات الجنوب فرض السيطرة على التجارة الصحراوية (تجارة الذهب والرقيق) قد قلّت من عضد الزناتيين، وعادة ما تزامنت مع فترات الأزمة الاقتصادية، ومن أبرز هذه الأزمات الاقتصادية ما حدث سنة (395هـ/1004م) حيث كانت بإفريقية شدة عظيمة انكشف فيها المستور وهلك فيها الفقير، وذهب مال الغني، وغلت الأسعار وعمدت الأقوات وجلي أهل المدينة إلى أوطانهم وخلت أكثر المنازل فلم يبق لها وارث، ومع هذه الشدة وباء الطاعون، هلك فيها أكثر الناس من غني ومحتاج، وجاء خلف من أهل الحاضرة والبادية إلى جزية صقلية، وقيل أنّ أهل البادية أكلوا بعضهم بعضاً. (2)

(1) ابن عذارى المراكشي، البيان المغربي، ج1/ ص 162.
(2) ابن عذارى المراكشي، البيان المغربي، مصدر سابق، ج1/ ص 162.

وإلى جانب المجاعة الشديدة التي شهدتها سنة (425هـ/1033م) بسبب ضغط مجموعات البدو والزناتيين ما أضر كثيراً بالزراعة والبنية الأساسية من منشآت مائية وغيرها من عمليات لا تقل ضراوة عن سياسة الأرض المحروقة التي قامت بها الكاهنة الزناتي* في هذه الجهة، ومن بعدها أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرني الزناتاني.(1)

وكانت سنة (430هـ/1038م) كثيرة الخصب بإفريقية ولكن جهة طرابلس عرفت آنذاك الجوع والتشرد حتى أنّ هذه الكارثة التي سميت (بسنة قرورا) ظلت واسعة في الخيال الشعبي، وأضحت مرجعية تاريخية وفيها استولى هاجس الخوف لاستيلاء اللصوص على الطرقات وكثرة الغارات وخراب العمران، كما برزت مسحة من التشاؤم لدى علماء العصر الذين أكثروا من ذم أهل هذا الزمان.(2)

هذه الأوضاع المتضاربة والاضطرابات والصراعات التي كانت عليها بلاد المغرب الإسلامي، وما يصل إلى مسامع الخليفة الفاطمي من معاناة الأهالي من تدهور للاقتصاد وانتشار النهب، ومع الرغبة في القضاء على من شقوا عصا الطاعة عن الدولة الفاطمية وتخفيف العبء عن الدولة جراء الحالة الاقتصادية السيئة بسبب المجاعات المستشرية في مصر كانت الفرصة مواتية لإرسال الهلاليين لبلاد المغرب الإسلامي. وبوصولهم للمغرب وجدوها مفتتة بسبب تلك الثورات والصراعات ما جعلها محط اطماع للصليبيين.

(1) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج 2/ ص 275-278.

(2) محمد حسن، المدينة والبادية، ج 1/ ص 32-33.

ختاماً:

يُعدّ خروج بني هلال من مصر إلى بلاد المغرب الإسلامي حدثاً مفصلياً في التاريخ الوسيط، إذ لم يكن مجرد انتقال قبلي عابر، بل كان نتيجة تفاعل معقد بين الاضطرابات السياسية، والأزمات الاقتصادية، والتحولت السياسية في المغرب الإسلامي.

فضعف شخصية الخليفة المستنصر بالله، وتعدد الوزراء بشكل غير مسبوق، وتدهور العلاقة مع آل زييري الصنهاجيين، كلها عوامل أضعفت السلطة المركزية حيث أدى هذا الضعف إلى فتح المجال أمام الوزير اليازوري لاستغلال القبائل الهلالية كأداة سياسية لمعاقبة المعز بن باديس بعد قطيعته مع الفاطميين.

وهكذا تحولت القبيلة من عنصر داخلي مزعج في مصر إلى أداة استراتيجية لإعادة رسم التوازنات في المغرب.

كذلك سلسلة المجاعات والأزمات الاقتصادية، أبرزها "الشدة المستتصرية"، التي شهدتها مصر في القرن الخامس الهجري كشفت هشاشة البنية الاقتصادية للدولة الفاطمية، وضعف الإدارة، وفساد الوزراء، بالإضافة لتدخل أم الخليفة في الحكم، وانخفاض منسوب النيل كلها عوامل أدت إلى انهيار اقتصادي شامل. تلك الأزمة الاقتصادية لم تكن مجرد ظرف عابر، بل كانت عاملاً بنيوياً دفع الفاطميين إلى التخلص من القبائل الهلالية التي شكلت عبئاً ثقيلاً على موارد الدولة

فالهجرة هنا لم تكن خياراً قبلياً فقط، بل كانت أيضاً قراراً سياسياً واقتصادياً من السلطة المركزية للتخفيف من الضغط الداخلي.

في المقابل، كان المغرب يعيش حالة من التحولات السياسية بعد استقلال آل زيري عن الفاطميين، وقطعهم الدعوة الشيعية، وميلهم إلى العباسيين. هذا الانقسام فتح الباب أمام الهلاليين للدخول كقوة جديدة، حيث منحهم المستنصر بالله امتيازات واسعة.

من هنا يمكن القول أنّ دخول الهلاليين إلى المغرب الإسلامي لم يكن مجرد هجرة، بل كان إعادة توزيع للقوة بين الفاطميين والزييريين، وبين القبيلة والدولة حيث تحولت القبيلة إلى لاعب سياسي وعسكري يغير موازين القوى في المنطقة.

الفصل الثالث:

أثار دخول الهلاليين بلاد المغرب الإسلامي (في كتابات

المؤرخين العرب والغربيين)

المبحث الأول: الأثر السياسي

المبحث الثاني: الأثر الاقتصادي

المبحث الثالث: الأثر الاجتماعي والثقافي

تمهيد:

كان لهجرة الهلاليين إلى بلاد المغرب الإسلامي أثرها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، بدأت هذه الآثار تظهر للوهلة الأولى منذ بداية دخولهم لها، ولم تقف عند هذا الحد بل استمرت بعد ذلك ولسنوات عديدة أعقبت زمن هذه الهجرة التاريخية.

اختلفت الآراء حول هذه الهجرة ما بين من يرى أنها خلفت آثار إيجابية وبين من يرى أنها خلفت آثار سلبية قيل إنَّها أدت إلى تخريب إفريقية خصوصاً وبلاد المغرب الإسلامي عموماً. سيتم في هذا الفصل تتبع أثر هذه الهجرة وذلك في ثلاث مباحث رئيسة يتناول المبحث الأول الأثر السياسي، والمبحث الثاني يتضمن الأثر الاقتصادي، والمبحث الثالث الأثر الاجتماعي والثقافي وبداية تكون مع:

المبحث الأول: الأثر السياسي للهلاليين في بلاد المغرب الاسلامي

مع ضعف دولة بني زيري وتفتتها وسقوط عاصمتها القيروان سنة 443هـ، تعاظمت قوة الهلاليين العسكرية وأصبحوا القوة العسكرية الأولى بالمنطقة تخشاها باقي القوى السياسية، وكانوا في الوقت ذاته يتحالفون مع أكثر من جهة حتى يضمنون تحقيق مصالحهم. حيث أقدم بعض أمراء بلاد المغرب على التصالح معهم وذلك عن طريق التحالف أو الرشاوي لتجنب خطرهم،

حتى أنه خصص لهم في عديد المرات جزء من المحصول الذي يجبي مقابل عدم تعرضهم لهم، وهو ما فعله الأمراء الحماديين وأشار لذلك المراكشي⁽¹⁾ في كتابته بالقول:

"الفوضى وعدم الاستقرار السياسي في المغرب الإسلامي، فرغم تغلب العرب على صنهاجة وزناتة إلا أنهم لم يؤسسوا ملكاً ولم يثيدوا دولة، فهم جاءوا بتحريض من دولة أخرى ومحركهم الأساسي هو غرائزهم، لذلك كانوا يؤثرون الضواحي والأرياض على الأمصار ويفضلون البداوة والنقلة المستمرة على الاستقرار، وكانت عصبيتهم أقوى من أن تتحول إلى ارتباط بإقليم أو رقعة محدودة من الأرض"، وقد أكد ذلك ابن خلدون⁽²⁾ بقوله أنه "لاحظ على هذه القبائل أنها تكره الاستقرار فهو بالنسبة لها معناه الاستكانة لقوى الدولة القائمة أو لقوى قبائل أقوى وهو ما لا ترتضيه لنفسها".

لذلك تراوحت علاقة هذه الدول مع الهلالين بين التقريب أو الإبعاد حسب مصالحها وفي الوقت نفسه تذبذبت علاقة الهلالين بهذه الدول بين المعاونة أو المعارضة، فلما كانت الحاجة إليهم قربوا رؤساءهم بالمصاهرة والمجالسة وأقطعت لهم الأراضي واعتمدت عليهم في السيطرة على القبائل المستضعفة وإذا استغنوا عنهم حاولوا قهرهم وتجريدهم من امتيازاتهم.⁽³⁾

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تحقيق: ج.س. كولات وليفي بروفنال، ط3(دار الثقافة، بيروت، 1983) ج1.

(2) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 44

(3) ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6/ص 771.

وعرف الهلالين بدورهم أن مصالحهم رهن بضعف هذه الدول فكانوا يخلقون لها المشاكل ويدبرون عليها الثورات ولم يقيم العرب الطامعين في الملك أو الطامعين في التوسع ما يعينهم على إبقاء الفلاقل قائمة، وفي ذلك حفظ لامتيازاتهم، كما أن الهلالين على الرغم من ما كان يقوم بينهم من صراعات ومنازعات كانوا يسارعون إلى الاتحاد إذا تعرضت مصالحهم للخطر، وخير مثال على ذلك اتحادهم جميعاً للقضاء على دولة بني حماد ومقاتلة الناصر بن علناس*، واتحادهم ضد عبد المؤمن بن علي لأن في قوة دولته خطر على مصالحهم وامتيازاتهم فكانت واقعة سطيف وكذلك اشتراكهم في ثورة قراقوش وثورة بني غانية.* (1)

يقول ساطع الحصري، إن أهم القوى التي كانت تستند إليها هذه الحكومات تتمثل في العشائر البدوية العربية منها والبربرية في مختلف أقطار المغرب، لأنها كانت بمثابة قوات مسلحة مستعدة للغزو والحرب في خدمة هذا الأمير أو ذاك وكان عملها يشبه إلى حد كبير عمل الجيوش المرتزقة التي تكونت في أوروبا لاسيما في إيطاليا في أواخر القرون الوسطى، وإن انضمام مثل هذه العشائر القومية إلى جانباً ما كثيراً ما كان يقرر مصير الحرب ويضمن النصر لهذا أو ذاك. (2)

* الناصر بن علناس بن حماد، هو رابع ملوك الدولة الحمادية، حكم بين 454-461/1062-1088م، وصل للحكم بعد انتقامه من بلكين بن محمد بن حماد الذي قتل اخته. يعتبر اعظم الملوك الحماديين، حيث بلغت الدولة في عهده اقصى اتساعها وذرورة قوتها ونهضتها الحضارية. دام حكمه 27 عاماً.
* ثورة قراقوش ليست ثورة حقيقة بالمعنى السياسي بل تعبير ساخر ارتبط بشخصية بهاء الدين قراقوش. ثورة بني غانية هي ثورة تاريخية في المغرب الإسلامي خلال القرن 12 م / 6 هجري.

(1) عبد الحميد يونس، الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، مرجع سابق، ص76.
(2) دراسات عن مقدمة ابن خلدون (القاهرة: مكتبة الخانجي، دت) ص67.

ويعيب الحصري ابن خلدون بأنه لعب دوراً مهماً في سياسة الدول المغربية بطريقة جديدة وأسلوب خاص، إذ صار يخدم هذا السلطان أو ذاك عن طريق استئلاف القبائل واستتباعها دون أن يتولى منصباً رسمياً، ودون أن ينتسب إلى حكومة من الحكومات، وأنه أصبح بارعاً في استمالة القبائل واستئلافها واستتباعها، وأنه أصبح بمثابة الملتزم المورد لتلك القوى المسلحة، وأنه كان يوجه العشائر إلى خدمة السلاطين الذين يشايعهم.⁽¹⁾

والسؤال هنا هل الهلاليين اقتصر أثرهم في هذه الناحية على القتل والتدمير ولم تكن لهم أي وقفات مشرفة سياسياً وعسكرياً؟

ولكي نستطيع الكشف عن الأثر السياسي التي أحدثه الهلاليين ببلاد المغرب يجب التذكير أنّ بلاد المغرب كانت تعصف بها الفتن والثورات، وقد تم التعرّيج على ذلك بالفصل الثاني. انقسمت بلاد المغرب بين عدة قوى حيث أسس بنو يعلي أمارة لهم في تلمسان بالمغرب الأوسط، واستأثر الحماديون بباقي المغرب الأوسط، ونبذوا الدعوة الفاطمية واعترفوا بتبعيةهم لبني العباس في بغداد، وانفرد بنو خزرون الزناتيون بطرابلس وضواحيها وبايعوا الأمويين في الأندلس، واقتصر سلطان البادييين على ما تبقى لهم من افريقية.⁽²⁾

(1) دراسات عن مقدمة بن خلدون، المرجع السابق، ص 86.

(2) ممدوح حسين، العرب الهلالية في افريقية ودورهم في الحروب الصليبية، مجلة كلية الآداب، الجامعة التونسية، ع 118، ص 74.

تلك الإمارات كانت في عداة دائم ما استنزف قوى بلاد المغرب عامة، حيث هلك الزرع والضرع وافني الرجال، وهو ما جعل بلاد المغرب غير قادرة على مواجهة بعض الأخطار الخارجية (الصليبيين، والنورمانيون)

فبعد دخول الهلاليين إلى بلاد المغرب بحوالي عقدين من الزمن تمكنوا من التفاهم والتقارب مع بعض أمراء بني زيري وخاصة قبيلة بنو رباح حيث ساعدوا الدولة الزييرية في تثبيت وجودها في المهديّة وتنفيذ بعض مشاريعها، كما شاركوا معها في التصدي للنورمان عام 460هـ، وصد الهجوم الايطالي المتمثل في أساطيل بحرية من مدينتي بيزا وجنوة على المهديّة عام 480هـ، وفي الدفاع على طرابلس عام 537هـ ضد هجوم النورمان القادم من صقلية الذي كان يريد السيطرة على طرق التجارة في البحر المتوسط واضعاف المدن الإسلامية الساحلية، وأيضا تمكنوا من هزيمة جرجي الأنطاكي قائد الأسطول النورماني عندما حاول السيطرة على قابس وصفاقس وسوسة، وبفضل القوة البشرية الهلالية وخبرتهم القتالية وضع حد للتوسع النورماني نحو بلاد المغرب الإسلامي.⁽¹⁾

كما أنّهم رفضوا التحالف مع روجار النورماندي ضد الموحدين على الرغم من الإغراءات التي قدمها لهم بل ظلوا معهم في الحرب حتى خروج آخر جندي نورماندي من افريقية، وكان لهم دور في الجبهة الأندلسية حيث تقرب منهم أمير الموحدين وذكر البيدق⁽²⁾ ان الأمير الموحي أبو

(1) ابن الأثير، مصدر سابق، ج10، ص46.

(2) ابوبكر علي الصنهاجي البيدق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية الموحدين، تحقيق: عبدالحميد حاجيات، الجزائر، 1975، ص150.

يوسف يعقوب المنصور قد أصر للهلاليين عن رغبته في إرسالهم للجهاد في الأندلس قائلاً: " قد وجبت علينا نصره الإسلام، فإنَّ المشركين قد استفحل أمرهم بالأندلس، واستولوا على كثير من البلاد التي كانت بأيدي المسلمين، وما يقاتلهم أحد مثلكم، فبكم فتحت البلاد أول الإسلام، وبكم يدفع عنها العدو الآن".

استجاب الهلاليين وحشدوا قواتهم وشاركوا في الجهاد في الأندلس كل ما طلب منهم، ووصلت قواتهم لتشكيل فرقة كاملة في جيش محمد الناصر بن المنصور يوم العقاب عام 609هـ. (1) وقد أورد عنهم ابن عذاري في حديثه عن غزوة المنصور للأندلس عام 585هـ أنَّ دخول الهلالية إلى الأندلس لم يكن لفترات محدودة يعودون بعد كل غزوة إلى مواطنهم في العدة المغربية، بل كان هنالك فئات منهم مقيمة ضمن الحاميات الموحدية في تلك الجبهة. (2) كما أورد عنهم أيضا أن هؤلاء الهلالية كانوا أول من يرمى بهم نحو العدو عند القتال اذ يقول في وصفه لحصار حصن شلبطرة عام 608 هـ "إنَّا قدمنا إليه الأعراب رعيلا فرعيلا وأطلقناهم عليه قبيلة فقبيلة، وظهر في بسبطة زهاء أربعمائة فارس فقتلوهم تقتيلا، ثم إنَّا تحركنا على الأثر في جيوشنا". (3)

وعندما انهارت الدولة الموحدية عام 668هـ وتمزقت وحدة المغرب الإسلامي حاول بنو مرين استعادة مكانتهم بالأندلس، فكان الهلاليين في بلاد المغرب خير معين لهم، ودعموا الجبهة

(1) ابن ابي دينار، مصدر سابق، ص 117

(2) أمحمد انويجي غميص، مرجع سابق، ص 47.

(3) ابن عذاري، مصدر سابق، ج3، ص 240.

الإسلامية في مواجهة النصارى فتمكنوا من فتح عدة مدن وقرى وحصون، واستمروا في مد بني مرين بالمحاربين في كل الجبهات.⁽¹⁾

ولكن هل أنصفهم المؤرخون عرب وغربيين في كتاباتهم وتذكروا لهم تلك الوقفات؟

المبحث الثاني: الأثر الاقتصادي

يكاد المؤرخون والكتّاب يتفقون على المبالغة في تصوير مدى التدمير الاقتصادي الذي ألحقه الهلاليين بالمغرب، وقد أمسك الغربيين بهذا الطرح التاريخي ليحاولوا أن يرجعوا كل ما واجهه المغرب من أزمات أو كوارث إلى سوء سياسة الهلاليين بالمغرب. ولكن قبل عرض آراء المؤرخين عرب ومستشرقين نقف عند بعض النقاط التي حدثت ببلاد المغرب والتي وجه فيها الاتهام إلى العرب الهلاليين بعد صراعهم مع الصنهاجيين وبعدها مع الحماديين:

- 1- تعطلت الزراعة وتقلصت الأراضي الزراعية وهجر الفلاحون أراضيهم.
- 2- تراجعت الحياة الحضارية وتقدمت الحياة الرعوية وفرضت اتاوات على المراعي.
- 3- اجبر المزارعين على دفع ضريبة تؤخذ على الإنتاج الزراعي منذ القرن الخامس الهجري.
- 4- خسر البربر مساحات كبيرة من أراضيهم السهلة الخصبة الملائمة للزراعة وذلك مقابل

المخالفة والمساندة.

(1) أمحمد انويجي غمبوض، مرجع سابق، ص 48

5- تأثرت التجارة وسيطرت بعض القبائل على طرق التجارة ما تسبب في هجر بعضها وتحولت لمجرد ممرا عابرا واختفت العديد من المراكز التجارية، وان ظل أي طريقا تجاريا فإنَّ القافلة التي تمر به ملزمة بدفع اتاوات، وهو ما أسهم في تراجع الأوضاع الاقتصادية.

6- حدث تخريباَ كبيراَ للعمران ودمرت القلاع ونهبت الممتلكات.

يصف ابن خلدون كيف استباح العرب القيروان وغيرها من المدن المغربية بعد فرار المعز بن باديس إلى المهديّة فيقول: "وجاء العرب (الهلاليين) فدخلوا البلد واستباحوه واكتسحوا المكاسب وخرّبوا المباني، وعاثوا في محاسنها وطمسوا من الحسن والرونق معالمها، واستصفوا ما كان لآل بلكين في قصورها، وشمّلوا بالعبث والنهب سائر حريمها وتفريق أهلها في الأقطار فعظمت الرزية وانتشر الداء وأعضل المطب، ثم ارتحلوا إلى المهديّة فنزلوها وضيقوا عليها بمنع المرافق وإفساد السابلة ثم خربوا زناتة بعد صنهاجة وغلّبوهم على الضواحي واشتعلت الفتنة بينهم... ولم يزل هذا دأب العرب حتى غلبوا صنهاجة وزناتة على ضواحي إفريقية والزاب، ونهر وأمن بها من البربر وأسروهم عبيداً وخداماً".⁽¹⁾

كما يذكر ابن خلدون أيضاً أنّه بعد هزيمة العرب لعناصر ابن علناس صاحب قلعة حماد تبعوه حتى لحق بالقلعة فنازلوها وخرّبوا جنباتها وأحبطوا عروشها وعاجوا على ما هنالك من الأمصار مثل طبثة ومسيلة فخرّبوها وأزعجوا ساكنيها، وعطفوا على المنازل والقرى والضياع

(1) ابن خلدون، ديوان العبر، ج6/ص16.

والمدن فتركوها قاعاً صفضاً أقفر من بلاد الجن وأوحش من جوف العير وغوروا المياه، واحتطبوا

الشجر وأظهروا في الأرض الفساد.(1)

ويضيف أنّ الفاطميين أغروا قبيلة الكعوب من بني سليم بالمغرب فاجتازوا إلى برقة على أثر الهلاليين فحربوا عمرانها وأجروا في خلائها،(2) أمّا المراكشي فذكر أنّ العمران كان متصلاً من مدينة الإسكندرية إلى مدينة القيروان، وأنّ القوافل كانت تسير في هذا الطريق لبلدانها رأوا أنّ الحصون بين طرابلس والإسكندرية كانت متقاربة لرصد أي عدو يأتي من البحر، ولم يزل هذا معروفاً من أمر البلاد إلى أن خربت الأعراب تلك الحصون، ونفت عنها أهلها أيام خلا بنو عبيد (الفاطميون) بينهم وبين الطريق إلى المغرب، فاستولى الخراب عليها إلى وقتنا هذا، واستوطنها الأعراب من سليم وغيرهم، فهم اليوم بها وآثار المدن والحصون باقية إلى اليوم.(3)

ويضيف المراكشي(4) عن تاريخ القيروان منذ إنشائها حتى ملكها بني زيري فيقول: "فلم يزل زيري وبنوه ملوكاً عليها إلى أن كان آخرهم الذي أخرجه العرب عنها، تميم بن المعز بن باديس فانتهبها الأعراب وخربتها فهي كذلك راب إلى اليوم فيها عمارة قليلة يسكنها الفلاحون وأرباب البرية".

(1) ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6/ص 19-20.

(2) المصدر نفسه، ج 17/ص 273.

(3) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، مصدر سابق، ص432-433، ويقصد باليوم أي سنة 621هـ.

(4) المصدر نفسه، ص441.

ويشير ابن عذارى إلى وقائع العرب مع المعز بن باديس عند القيروان فيقول: "قال ابن شرف أخبرني من أثق به قال: خرجت من القيروان وسرتُ ليلاً فكنت أكمّن النهار فلم أمر بقرية إلا وقد سحقت وأكلت، أهلها عراة أمام خياطيتها من رجل وامرأة وطفل، يبكي جميعهم جوعاً وبرداً، وانقطع المير عن القيروان وتعطلت الأسواق وأمسك العرب جميع من أسروه فلم يطلقوا أحد إلا بالفداء مثل أسرى الروم، وأمّا الضعفاء والمساكين فأمسكهم لخدمتهم".⁽¹⁾

ويذكر في أحداث سنة 449هـ في أول يوم من رمضان انتهبت العرب مدينة القيروان وخربتها وكانت من أعظم مدن الدنيا.⁽²⁾ أمّا ابن الخطيب فيصف دخول العرب إلى إفريقية بقوله: "فعبّر منهم خلق عظيم شفى بهم المعز ومن بعده إلى اليوم فنسبوا البلاد واستحيوا الأولاد وانتهبوا الطارف والتلاد وحلت بدخول مدينة القيروان شهرة ووقية شنيعة وإلى اليوم فالخطب بهم لا يرفع والوطن الخصيب الرحيب قفر بلقع".⁽³⁾

ويذكر ابن أبي دينار أنّه في أيام تميم بن المعز بن باديس كانت المجاعة العظمى بأفريقية والوباء الذي لم يسمع بمثله وذلك سنة 483هـ.⁽⁴⁾

أمّا العبدري الذي مرّ بباجة فيصفها بأنها "مدينة جرعها الدهر أجاهه قد هتكتها الأيدي العادية وفتكت بها الخطوب المتمادية حتى صارت وهي حاضرة بادية فخشوعها لائح وضراعتها

(1) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، مصدر سابق، ص291.

(2) المصدر نفسه، ص294.

(3) ابن الخطيب، الوزير لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ)، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، تحقيق: أحمد مختار العبادي، وحمد إبراهيم الكتاني (المغرب: الدار العلمية، 1964) ص75.

(4) ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص86.

بادية، وقد حدثت بها أن أهلها لا يفارقون السور خوفاً من العربان وأنهم يستعدون لدفن الجنائز كما يستعدون ليوم الضراب والطعان".⁽¹⁾

ويقول العبدري⁽²⁾ عن القيروان: "فدخلتها مجداً في البحث غير وان فلم أر إلا رسوماً محتها يد الزمان، وآثاراً يقال عنها كان وكان، وقد كان شأن القيروان في غابر الزمان بحيث لا يجله إنسان ولا يحصله لسان حسبك ببلد وضعت الأوضاع في فضله وملئت الأسماع من وصف وابله وطله، مأوى العلماء والعلماء في حياتهم وكفاتهم بعد وفاتهم بلد يناظر به إقليم، ومتى ذكر علماءه فليس إلا التسليم، ولكنها الأيام إذا أعطت أخذت وكلما أعطت نبذت".

ثم يصف العبدري طرابلس فيقول: "أفقرت ظاهراً وباطناً، وذمها الخبير بها سائراً وقاطناً، اكتنفها البحر والقفر واستولى عليها من عربان البر ونصارى البحر".⁽³⁾ أمّا ابن بطوطة⁽⁴⁾ فيصف حال سكان مدينة صفاقس وما يلاقونه من غارات العرب في البر وإفساد الروم في البحر، ويصف انعدام الأمن في طريق المسافرين وعدم إمكان اجتيازها إلا بالخفارة الشديدة فيقول: "ثم خرجنا من مدينة قابس، قاصدين طرابلس، وصحبنا في بعض المراحل إليها نحو مائة فارس أو يزيدون، وكان بالركب قوم رماة فهابتهم العرب وتحامت مكانهم وعصمنا الله منهم".

(1) العبدري، أبو عبد الله محمد بن محمد الحيحي، رحلة العبدري (الرحلة المغربية)، تحقيق: محمد الفاسي (الرباط: المكتبة التوفيقية، 1968) ص37-38.

(2) العبدري، المصدر السابق، ص64.

(3) العبدري، المصدر نفسه، ص76-77.

(4) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة (بيروت: دار العلم للملايين، 1384هـ) ج1/19.

المبحث الثالث: الأثر الاجتماعي والثقافي

أحدثت الهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب تغيرا اجتماعيا مهم فحولته إلى شعب تجري في عروقه الدماء العربية ويكتسب سكانه العادات والتقاليد العربية، فكان تأثير العرب الهلاليين في البربر اجتماعياً وثقافياً، مضيفين إلى من سبقهم من الفاتحين العرب الكثير من التغيرات الاجتماعية والثقافية.

وفي ذلك يقول ابن خلدون⁽¹⁾ "إلا ان تأثر البربر بالعرب كان أيضا لتشابه أسلوب الحياة لديهم، فالهلاليون بداية ظواغن، والبربر أغلبهم أيضا مثل ذلك حتى قبل مجيء الهلاليون، وكان لتشابه الحياتين اثره أن يتأثر البربر بالعرب، خاصة بعد أن اختلطوا بهم، وأن يأخذوا عنهم كثيرا من عاداتهم وأخلاقهم وطباعهم". ويقول أيضا " أن بني كهلان من بربر هواره البرانس كان يظعنون على عهده مع بني سليم في اللغة والزي وسكنى الخيام وركوب الخيل وكسب الإبل وممارسة الحروب وإيلاف الرحلتين في الشتاء والصيف، قد نسوا رطانة البربر واستبدلوا منها بفصاحة العرب فلا يكاد يفرق بينهم"⁽²⁾

فمع دخول الهلاليين إلى بلاد المغرب الإسلامي تزايد عدد العرب وتناقص عدد البربر وذلك بسبب الضغط الذي تعرضوا له والحرب التي شهدتها البلاد، وهو ما أثر على التركيبة السكانية ببلاد المغرب الإسلامي، وكان امتزاج العرب بالبربر واضحا في الفياضي والسهول، في حين

(1) ابن خلدون، مصدر سابق، ص 141.

(2) المصدر نفسه، ص 142.

استطاع البربر الذين اعتصموا بالجبال الاحتفاظ بلغتهم وعاداتهم إلى الآن مثل رجال القبائل وشاوية الأوراس. وقد سمح التواجد الهلالي بالمغرب الإسلامي والاستقرار إلى عملية اندماج في المجتمع الذي يتعايشون معه لأن أرض المغرب أصبحت وطنهم الذي لن يرتحلوا منه وكان لهم دور بارز في الدفاع عنه ضد الغزو الخارجي.⁽¹⁾

إن إقامة الهلاليين ببلاد المغرب الإسلامي قد غيرت ملامحها الاجتماعية وصبغت بثقافة جديدة بالعروبة فخرجت بوجه عربي جديد، وترتب على ذلك تعريب قسم كبير من سكان البلاد نتيجة للتزاوج وصلات القرابة التي تمت على مر الأيام وامتزاج السلالتين بالدماء العربية.⁽²⁾ وإن بعض قبائل البربر قد أخذت تخفي نسبها البربري وتتسبب للنسب العربي.⁽³⁾ مثل هواة، زناطة، لواتة، زغاوة.

لم يقتصر تأثير الهلاليين على الفترة التي تم فيها بل انسحبت أثارها على الفترات اللاحقة من تاريخ بلاد المغرب الإسلامي ككل لاسيما في مجال تنشيط حركة التعريب في بلاد المغرب.⁽⁴⁾ فبرزت المساهمة في التعريب والتخفيف من حدة اللهجات المحلية في القرى البربرية مما ساعد على تفوق اللغة العربية على اللهجة المحلية الاختلاط والامتزاج بين العرب الهلالية وبعض

(1) حسن علي حسن، الغزو الهلالي للمغرب أسبابه ونتائجه، المجلة التاريخية المصرية، (القاهرة: مطبعة الجبلاوي، العدد (84)، 1979) ص129.

(2) حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط4 (القاهرة: دار الرشاد، 2000) ص423.

(3) فائزة محمد صالح امين، غزو بني هلال وبني سليم للمغرب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الآداب، قسم التاريخ، 1981، ص 177.

(4) محمد شريف، العرب في بلاد المغرب بين التاريخ الاستعماري والبحث الأكاديمي تصحيح لمغالطات تاريخية (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2010) ص202.

القبائل البربرية لاسيما تلك التي تمتهن الرعي، وبحكم الجوار مع البربر أخذوا عنهم لغتهم وحتى عاداتهم فاستعرب الكثير منهم مثل هوارة وغيرها لما وجدوا في العربية من ثروة لفظية وأدباً راقياً وإعانة على فهم الدين فزادت العربية انتشاراً عن طريق الاحتكاك والمصاهرة والمعاملات اليومية وفي الأسواق فأخذت البربرية تتقلص، فكاد التخاطب بالبربرية يقتصر على سكان الجبال.⁽¹⁾

إضافة إلى ذلك اتفاهم في الصفات الخلقية كالشجاعة وعزة النفس وإكرام الضيف وحفظ العهد وحسن الجوار وغير ذلك من الصفات،⁽²⁾ فقد كانت الأرياف والبوادي أسرع تعريباً من المدن، وقد يكون السبب في ذلك هي أنّ حياة البادية أقرب للعروبة وبيئة ملائمة للامتزاج في التواصل اللغوي.⁽³⁾

لقد أسهم الامتزاج والتعاون ما بين العرب الهلاليين والبربر إلى حد كبير في نشر اللغة العربية- لغة القران الذي احتضنته القبائل المحلية فكانت بها الصلاة ومن ثم أصبحت مع الهلاليين لغة السوق والخطاب اليومي- في منطقة شمال إفريقية حيث كانت العربية مقتصرة على المدن وبعض الضواحي، لكن ابتداءً من القرن الخامس الهجري تعربت الأرياف بفضل نفوذ العرب مع الغزوة الهلالية.⁽⁴⁾

(1) محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2010) ص118.
(2) حسن علي حسن، الغزو الهلالي للمغرب، مرجع سابق، ص140.
(3) محمد الهادي الشريف، تاريخ المغرب العربي (تونس: الدار التونسية، 1974) ص51.
(4) الفرديل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، ط3 (بيروت: دار المغرب الإسلامي، 1987) ص215.

وأكد ابن خلدون خلال عصره فترة القرن السابع الهجري أنّ البربر قد تأثروا بالعرب حتى أنّهم قد نسوا رطانة البربر واستبدلوا منها بفصاحة العرب حتى لا يكاد يفرق بينهم سواء في ذلك بربر المغرب الأدنى أو بربر المغرب الأقصى، اللهم إلا بربر المناطق الوعرة الذين لم يختلطوا بالعرب مثل شاوية الأوراس مثلاً.

وحتى لهجة البربر أنفسهم قد أصابها التغيير حيث اختفت بعض اللهجات وأدخل بعضهم الآخر كثير من الكلمات يمكن تمييزها عن الكلمات الأخرى التي دخلت البربرية في القرون السابقة.⁽¹⁾ إلى جانب انتشار العربية كلغة في المغرب فإنّ الهجرة الهلالية كان لها تأثير كبير من الناحية الثقافية لبلاد المغرب الإسلامي.

بعد بيان الآثار التي خلفها الهلاليون ببلاد المغرب وكشف بعض الاوضاع التي كانت عليها البلاد قبيل قدومهم إليها، يتبين أنّ هناك اختلاف في الوصف بين المؤرخين الذين ارخوا لبني هلال من معاصرين لهم ومن جاءوا بعدهم وأيضاً من نقلوا عنهم. وعليه يتبادر إلى ذهن الباحث بعض التساؤلات:

هل تحميل الهلاليين كل هذه الأمور فيه نوعاً من المجافاة للحقيقة أو مبالغة في غير محلها؟ وهل الهلاليون يتحملون لوحدهم؟ أم يقع اللوم أيضاً على حكومات المغرب التي استعملت العرب

(1). ابن خلدون، مصدر سابق.

أداة ضد بعضهم بعضاً؟ وهل بلاد المغرب الإسلامي كان بلداً زاهراً مستقراً عند وصولهم له على

حد وصف المؤرخين؟

يورد الباحث هنا بعض النصوص التي كتبها المؤرخون بالإضافة لما ورد سابقاً من آراء في هذا

الفصل وهذه الآراء جاءت مخالفة لسابقتها حيث بين أصحابها من خلالها أنّ الخراب لا يقع على

عائق الهلاليين فقط ومنها:

ما ورد عن ابن عذاري وبين فيه أنّ المعز بن باديس تسبب فيما حدث في بلاده من تخريب

فيقول في حصار العرب للقيروان "وأمر السلطان كافة الناس بأنتهاب المزروعات المحيطة

بالقيروان وصبرة، فسر المسلمون بذلك وحسبوا من أرزاقهم، وكان مصيرهم إلى ما قدر الله من

فسادها وأكل البهائم لها"، ويقول "وأمر السلطان المعز أن ينتقل عامة أهل صبرة وسوقتها إلى

القيروان، ويخلوا الحوانيت كلها بصبرة، وأمر جميع من بالقيروان من الصنهاجيين وغيرهم من

العسكر أن ينتقلوا إلى صبرة وينزلوا من حوانيتها وأسواقها، فأرتج البلد لذلك وعظم الخطب وأشدت

الكرب، ومد العبيد ورجال صنهاجة أيديهم إلى خشب الحوانيت وسقائفها واقتلعوها، وخربت العمارة

العظيمة في ساعة واحدة".⁽¹⁾

ويعد رأي ابن عذاري هنا منصفاً لبني هلال، ويوضح أنّ الصنهاجيين وجيش المعز قاموا بعملية

تخريب واسعة، وليس العرب وحدهم.

(1) ابن عذاري، البيان، ص 291.

أمّا الادريسي الذي تتبع الهجرة الهلالية فأثّه ناقض ابن خلدون عندما وصف جهات المغرب الأوسط بأنّها أصبحت افقر من بلاد الجن وأوحش من جوف القبر، حيث يصف تلك البلاد أنّها كانت على صلة حسنة مع العرب، وكانت التجارة فيها رائجة، والعرب يمونونها بالحبوب، وبين أهلها وبين العرب معاملات ومشاركة في الحرث والادخار.(1)

أمّا البكري وهو أقرب الكتاب لأحداث غزوة بني هلال إذ أنه توفي سنة 487هـ، فيصف القيروان وصفاً يدل على مبلغ عمارتها حيث يقول: "وسائر جوانبها أرضون طيبة كريمة، وأحسنها الجانب الغربي وهو المعروف بفحص الدرارة يصاب فيه في السنة الخصبة للحبة مائة ويذكر أنّ للمدينة أربعة عشر باباً"(2)

فكيف نقارن هذا الوصف بما ذكره ابن خلدون أو ابن عذارى أو العبدري، الذي يرجح الباحث أنّ البكري هو معاصره ذكر حقيقة القيروان في زمانه، أمّا العبدري وهو من القرن السابع وابن خلدون وابن عذارى فهما من القرن الثامن، وإن كنا لا ننكر ما وصفوه هو الحقيقة لكنه وصف ينطبق على ما صارت عليه القيروان بعد أن توالى عليها المحن كهجوم الناصر بن علناس وثورات قراقوش وبني غانية.

(1) فائزة محمد صالح أمين، غزو بني هلال وبني سليم للمغرب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الآداب، قسم التاريخ، 1981، ص175.

(2) البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب (الجزائر: دار الكتب الوطنية، 1857) ص24.

ومن المؤرخين المعاصرين الذين يرفعون التهم عن بني هلال المؤرخ التونسي محمد الهادي العامري في كتابه (تاريخ المغرب العربي) وهو يؤرخ للدولة الحفصية والصراع مع بني مرين حيث يقول بالنص: "وأصبحت البلاد الأفريقية ميدان فوضى يتسابق فيه العرب، الأمر الذي حمل عبد الرحمن بن خلدون على كتابة فصول لاذعة ضد العرب في مقدمة تاريخه خصوصاً وقد كان ابن خلدون يعيش في ذلك العهد، ومن تأمل الفصل السادس والعشرين من مقدمة تاريخ ابن خلدون الذي عنونه بقوله: إنَّ العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب علم صحة ذلك فإنه حلَّ النفسية الأعرابية الوحشية وبرهن على استحكام عوائد التوحش في هؤلاء العرب أو الأعراب لتمردهم ونفورهم من النظام ومنافاة طباعهم للانقياد لوسائل التمدين ونظمه واندفاعهم لانطماس معالم العمران، واستئصالهم لكل نبات وشاجعهم إلى الغارات وانتهاهم للأموال".⁽¹⁾

ويؤيد الأستاذ الميلّي الراي القائل أنّ من الحق الضرر الذي حدث بالمغرب هو صنهاجة في قوله: "والمسؤول عما لحق بالمغرب من أضرار الحرب هي صنهاجة التي لم تحسن سياسة هؤلاء العرب وجراتهم عليها بما كان بين دولتيها من تنافس"،⁽²⁾

ويرى أنّ الكُتّاب العرب قد بالغوا في تقدير تلك الأضرار التي حمّلوا الهلاليين مسؤوليتها ويرى أنّهم لجأوا إلى ذلك لأنهم كتبوا لدول بربرية ولم يكن للهلاليين حكومة تطعمهم في أنعامها ولبداءوتهم لم يهتموا بدعاية سياسية تنشر لهم أو عليهم. والأسوأ أنّ تلك الاتهامات التي وجهت للعرب

(1) مبارك الميلّي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، والحديث (بيروت: دار العودة، 1963)، ج2، ص110.

(2) مبارك بن محمد الهلالي الميلّي، المرجع نفسه، ج2، ص153.

الهلاليين من طرف المؤرخين العرب أخذها عنهم المؤرخون المستشرقين وحملوا العرب كل شيء سيء مر بالمغرب بعد مجي العرب أو قبل مجيئهم. ومن ذلك ما نسب لبروفنسال حيث أراد أن يبرئ ما قامت به الكاهنة حوالي سنة 75هـ من تخريب للمغرب أثناء حملة حسان بن النعمان فيقول: "من الواضح أنّ نسبة هذا العمل الذي يخالف طباع البربر إلى الكاهنة لا بد أن يكون محل شك ولا ريب أن العرب وهم المسؤولون الحقيقيون عما أصاب أفريقيا من خراب البلاد الاقتصادي الزراعي بعد ذلك بسنوات هم الذين نسبوا إلى بطلة الأوراس هذه الجريمة التي لا بد أنّ نضيفها إلى حسابهم دون أدنى ظل من الشك أو التردد". (1)

واعتبرهم غوتيه وهو من أبرز الغربيين مناوأة للبدو أنّهم عنصر فوضى وتخریب على الدوام واشتهر بوصفه لهم "بالذئاب العرب". (2) أمّا دخولهم للمغرب فذكر أنّه أعظم كارثة حلت بالمغرب وهي أعظم من كارثة الخوارج، وبقدومهم تفشت جرثومتهم في أنحاء البلاد. (3)

وفي الحديث عن الهجرة الهلالية وأثارها لا يختلف عنه وصف روجي إدريس دخول بني هلال بالكارثة السياسية فيقول بأنّها الكارثة الخارقة للعادة. (4) ويؤكد على دور الهلاليين في تدمير مقومات إفريقيا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. (5) ويقول لقد كان الأعراب يخربون المناطق المنبسطة ويتحاشون المدن وينهبون ويبتزون الأموال ولكنهم كانوا يفرون إثر كل إنذار جدي

(1) المرجع السابق، ص 153.

(2) إميل فيليكس قوتيه، ماضي شمال إفريقيا، تونس، 1989، ص 302.

(3) المرجع السابق، ص 298.

(4) روجيه الهادي إدريس، الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12، ترجمة: حمادي السالحي (بيروت: دار المغرب الإسلامي، 1992) ج 2، الرباط، 1989، ص 245.

(5) المرجع نفسه، ص 315.

يوجه لهم، وفي الغالب يتهربون من القتال حيث كانوا يتلهفون عن الغنيمة أكثر من الغزو فإذا

أشبعوا نهمهم أرجعوا إلى أعقابهم.(1)

أمّا شارل أندريه فقد وصف بني هلال بالنهايين، أمّا هجرتهم فاعتبرها أنّها أهم حدث عرفته بلاد

المغرب أثناء القرون الوسطى.(2) وأنّهم المسؤولين عن تحول اقتصاد إفريقيا من اقتصاد زراعي

إلى اقتصاد رعوي، حيث تسبب قدومهم حسب رأيه في تعميم النمط البدوي الذي عمل على

تحويل الأراضي الزراعية المخصصة لزراعة الحبوب والأشجار المثمرة والخضار إلى غير ذلك،

وخربت قرى ومدن وبعضها اختفى، ووصل الخراب إلى الأراضي الفلاحية على طول الساحل

حول المدن الباقية أو داخل الجبال التي أحاط بها الزحف العربي دون أن يفتحها.(3)

واعتبرهم أرشيبالد لويس انهم كالسلاجقة والأتراك والمرابطين قبائل رحل خربوا كل حضارة.(4)

كما كان بوفيل شديد في الوصف معتمدا على ما وصفهم به ابن خلدون بأنهم دخلوا إفريقيا

كأسراب الجراد التي تلتهم كل البقاع التي تمر بها. وذكر بوفيل أنّ من أهم نتائج الأعمال التخريبية

إن تعطلت مناطق شاسعة عن الزراعة تعطىلا مستديما. وزحفت عليها الصحراء وقد عمد هؤلاء

الأعراب الجفأة أن يدمروا كذلك الغابات بأنفسهم أو عن طريق قطعانهم.(5)

(1) المرجع نفسه، ص255.

(2) شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، ج2، تونس، 1978، ص97.

(3) اشارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، مرجع سابق، ص 98.

(4) لويس ارشيبالد، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ص362.

(5) بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة أبو لُقمة ومحمد عزيز، منشورات جامعة قاريونس، 1988، ص117.

ويقول **الميلي** في ذلك: "أُتخذ كُتَّابُ الفرنسيةِ مبالغات كُتَّابِ العربيةِ، وصاروا يطرون البربر بعدما كانوا يقذفونهم بأشنع القذائف في الدورين الروماني والبيزنطي"،⁽¹⁾ ويستشهد بما ذكره الكاتب العسكري الفرنسي (كاريت) الذي يقول: "كان هجوم العرب الفاتحين كالإعصار ويقتلع الأشجار ويهدم المنازل وهجوم الهالبيين كالحريق الهائل الذي يذر الأشجار والمسكن رماداً تذروه الرياح، فما أبقاه الإعصار قضى عليه الحريق، وما بقي عن السياسة العربية قائماً بالمغرب ذهب به الطبع العربي الهدام فتمم الهالبيون أعمال التخريب التي ابتدأها الخلفاء الأولون".⁽²⁾

تداول بعض المؤرخين المحدثين العرب ما تناوله المستشرقين الأوائل والذي استمدوه من مقدمة ابن خلدون دون تحليله وتحميصه ومنهم:

حسين مؤنس الذي شبه دخول بني هلال الى أفريقية بالطوفان، وبالغ في تعدد مساويهم محملاً إيّاهم مسؤولية تخريب أفريقية وما والاها حتى تلمسان ويقول في ذلك " أنّ العرب عندما دخلوا افريقية كانوا في الغالب فرساناً على ظهور الخيل. وتكفي الفئة القليلة منهم للسيطرة على الإقليم الكبير. وإلى هذا يعزى تغلبهم الشامل على البلاد. ولا يرجع قط إلى ضعف عزائم أهل البلاد وعودهم عن الذود عن أوطانهم. ثم أنّ أهل الأرياف والضواحي من أهل الزرع والضرع في العادة قوم مسالمون لا ينتظرون الأذى إلا من الزعّار وقطاع الطرق وهم قلة ... وقد فاجأهم هذا الطوفان الشامل من العرب الذين وجدوا أمامهم بلاداً واسعة تعجبهم وتناسب طبعهم. ولا يكاد

(1) مبارك ميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مرجع سابق، ص153.

(2) مبارك ميلي، مرجع سابق، ص114-115.

يحميها أحد. فرتعت خيولهم كيف شاءت وضربت على الناس في كل مكان. وأنزلوا بالناس والمزارع والقرى أشد ضروب الأذى وهم في سكرة بقوتهم واستقلالهم عن أي سلطان، فصالوا وجالوا كيف شاءوا. وكانت النتيجة التخريب الشامل الذي شمل برقة وطرابلس وأفريقية والمغرب الأوسط وحتى تلمسان " (1).

أمّا حسن علي حسن الذي اعتمد على مقدمة ابن خلدون، فقد أتى رأيه مؤيداً للبعد التخريبي الذي أصق ببو بني هلال، فيفيد بأن الآثار " المدمرة التي حلت بالمنطقة كانت نتيجة لتخريب المدن وحرق المزارع في هجمات متلاحقة أتلقت التقدم العمراني الذي كانت تنعم به أفريقيا ". ويذهب إلى أبعد من ذلك فيذر صراحة أن هجرة بني هلال كانت بمثابة حركة غزو مسلح إذ " حملت في طياتها الكثير من ألوان الدمار والخراب " (2).

ورغم تلك الآراء فإنّ بعض المؤرخين المحدثين الغربيين أخذوا على عاتقهم دحض الرؤى السابقة منهم: جون بونسي الباحث الفرنسي الذي يؤكد على أنّ الاعتماد على نظرية ابن خلدون في إقرار هذه الظاهرة يعتبر خطأ فادح، وذلك لأنّ ابن خلدون رجل دولة بحكم انتمائه إلى الارستقراطية، وقربه من الحياة المدنية الحضرية فكان تناوله لموضوع البدو من منظور عصري يدين البداوة ويقحم بني هلال في هذه الاحداث.

(1) حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، العصر الحديث للنشر، بيروت، 1992، ج1، ص629
(2) حسن علي حسن، الغزو الهلالي للمغرب -أسبابه ونتائجه، المجلة التاريخية المصرية، مج24، 1977، ص103

والتعليل الآخر أنّ ابن خلدون كان قد كتب على هجرة بني هلال بعد مرور ثلاثة قرون، وهي فترة كفيلة بحدوث تغيرات حتمية.⁽¹⁾

أيضا يؤكد بونسي أنّ المؤرخين المعاصرين لدخول بني هلال إلى إفريقيا أو الذين عاشوا في المرحلة التالية للهجرة، لم يتناولوا هجرة بني هلال بالكيفية التي تناولها بها ابن خلدون. وبالإضافة لنقده لابن خلدون فإنّه ينتقد غوتيه وجورج مارسيه وجوليان لأخذهم آراء ابن خلدون واعتمادهم عليها دون أي تمحيص واتخاذهم حيالها موقفا سلبيا.⁽²⁾

وفي هذا السياق ينقل أحمد عمروش قائلا: قد وجدت آراء بونسي من يؤيدها ويتفق معه منهم كلود كوهين حيث يبرز أنّ تدهور ودمار إفريقية كان قد بدأ قبل قدوم بني هلال إلى افريقية ووافقه في الرأي ايف لاكوست في الرأي منتقدا المؤرخين الذين اعتمدوا على ابن خلدون في تفسير الأزمة حيث يشير إلى أنّه لا يوجد في إي من مقدمة ابن خلدون ولا في غيره دراسة نظامية للأزمة التي لاحظ ابن خلدون أثارها في القرن الثامن الهجري. فدراسته لا تضم عرض منهجي للأسباب العميقة لهذه الظاهرة، ويكتفي بمجرد وصف الاضطرابات وتتاليها والفوضى وقيام وسقوط عديد المراكز السياسية، وأنّ الأزمة الهلالية لم تكن المحور الرئيسي إنّما طرحت ضمن أسباب الفوضى والاضطرابات. كما يرى أنّ هذه الرؤية هي اسطورة من قبيل الصدفة بل

(1) . Poncet(j),prosperite et decadence afrikiyenne ct.tome 9-10,1961,p232.
(2) احمد عمروش، الاستشراق الفرنسي والهجرة الهلالية، مجلة تطوير العلوم الاجتماعية، مجلد 12، ع1، 2019، ص 157- 158.

تغذيها بعض الأطر الايدولوجية الاستعمارية، وإنَّ دخولهم لبلاد المغرب ليس غزو وينفي تشبيهه دخولهم بغزو المغول لبلاد المشرق. (1)

يتوافق معهم جاك بيرك حيث انتقد اعتماد المؤرخين على كتابات ابن خلدون فهو لم يعاصر أحداث القرن الخامس الهجري، وكان شاهده في ذلك أن المؤرخ البكري المعاصر للحدث لم يذكر سقوط القيروان إلا في 452هـ أي ما بعد الهجرة الهلالية بحوالي ثمانية سنوات، وينفي أنَّ الخراب الشامل قد طال إفريقيا حينها.

ومثما اعتمد المؤرخون العرب المحدثون على وجهات نظر استشرافية حول اتهام بني هلال هناك من اعتمدوا على رؤى استشرافية تفند مزاعم تخريب بني هلال لبلاد المغرب منهم: **عبدالله العروي** الذي قدم تحليلا لعوامل ومراحل انحلال إمارة بني زيري ويعتبر أنَّ وجود بني هلال لا يختلف عن أي قوى بدوية بالمنطقة فيقول (البدوي يحتاج إلى مراعى وهذه محدودة على أرض المغرب، فلا بد للوفاد من سبقه إليها، وفي مرحلة لاحقة يضايق الاقتصاد الرعوي الزراعة والغراسة، فتتعدى العودة إلى إنتاج زراعي وتفرغ القرى والمداشر ويتناثر السكان وتتباعد الأحياء وتحل الخيام محل الدور، وتترتب عن هذه التطورات تحولات أخرى لا تقل خطورة مع انحطاط الإنتاج الزراعي وتناقص غلال الغرس، وتقل الثروة العامة وتكسد التجارة، وتساء أحوال سكان المدن فتختنق هذه

(1) احمد عمروش، المرجع السابق، ص 157.

خاصة بعد أن نهبت وسلبت أثناء الحروب والفتن، وهذا ما حدث بالضبط للقيروان والقلعة وتاهرت.⁽¹⁾

ختاماً أن هجرة الهلاليين إلى بلاد المغرب الإسلامي قد تداخلت فيها عوامل القوة العسكرية، والاضطراب السياسي، والتحويلات الاقتصادية، مع عمليات الاندماج الاجتماعي والثقافي. وأدت إلى انهيار مركز القيروان وسقوط دولة بني زيري، لتصبح القبائل الهلالية القوة العسكرية الأولى في المنطقة، وقد تراوحت علاقتها بالدول القائمة بين التحالف والمواجهة، إذ لجأ بعض الأمراء إلى استرضائها بالهبات والضرائب، بينما حاول آخرون قهرها وتجريدها من امتيازاتها وهذا يدل على أن الهلاليين لم يقتصر أثرهم على الفوضى والتدمير، بل ساهموا أيضاً في صدّ الغزو النورماني والإيطالي، ودعموا الجبهة الأندلسية في مواجهة النصارى، بل كانوا جزءاً من جيوش الموحدين والمرينيين. وهكذا يظهر أثرهم السياسي مزدوجاً قوة مدمرة من جهة، وحليف استراتيجي من جهة أخرى.

أمّا من حيث الأثر الاقتصادي فقد ركز المؤرخون العرب والغربيين على الجانب السلبي للهجرة، فاتهموهم بتخريب المدن، وانهيار الزراعة، وفرضوا الضرائب على الفلاحين، وانهيار طرق التجارة. ولكن مع هذا فإنّ التدمير لم يكن مطلقاً؛ فقد ساهم الهلاليون في إعادة توزيع الأراضي، وفرض نمط اقتصادي رعوي جديد، وأدخلوا أنماطاً من التنظيم القبلي في جباية الموارد ورغم أنّ المدن

(1) عبدالله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت 1977، ص97.

تراجعت، لكن البوادي والسهول شهدت نمطاً جديداً من الاستغلال الاقتصادي، ما جعل الاقتصاد أكثر ارتباطاً بالبداوة والرعي، وهو تحول بنيوي غير طبيعة المغرب لقرون.

بالإضافة لذلك فقد أحدثت الهجرة الهلالية تحولاً اجتماعياً عميقاً، إذ امتزج العرب بالبربر، وتزاوجوا معهم، مما أدى إلى تعريب واسع للمنطقة حتى أن البربر نسوا لغتهم واستبدلوها بفصاحة العرب، وأنهم تبنا عاداتهم في السكنى والزري وركوب الخيل. هذا الامتزاج لم يكن مجرد فرض قسري، بل كان نتيجة تشابه أنماط الحياة بين العرب والبربر، فكلاهما عاش حياة البداوة والتنقل. ومع مرور الزمن، أصبح المغرب الإسلامي يحمل ملامح عربية واضحة، ليس فقط في اللغة، بل أيضاً في القيم الاجتماعية مثل الشجاعة والكرم وحفظ العهد، وهكذا تحولت الهجرة الهلالية إلى قوة تعريب كبرى، غيرت هوية المنطقة وأعطتها وجهاً عربياً جديداً.

الخاتمة والنتائج

الخاتمة:

في نهاية الدراسة تم التوصل إلى النتائج الآتية:

- 1- إنَّ نسب الهلاليين يعود إلى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ابن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس عيلان بن مضر، وكانت منازلهم بين مكة والمدينة وامتدادها يصل إلى خيبر ووادي القرى وتيماء، وإنَّ منازلهم كانت في عالية نجد بالقرب من خيبر ومنازلهم هي حرة سليم وحرة النار ووادي القرى.
- 2- هاجرت من شبه الجزيرة العربية وذلك نتيجة للقحط والشح الذي ساد هذه المنطقة فانتقلوا إلى مصر واستقروا فيها بجانب النيل وقد أعطى لهم الكثير من المزايا التي ساعدت على استوطانهم في مصر.
- 3- نتيجة للأزمة السياسية ما بين الفاطميين والمعز بن باديس، وكذلك الأزمة الاقتصادية التي مرت بها مصر عمل الفاطميون على دفع الهلاليين للهجرة إلى بلاد المغرب ويرى بعض المؤرخين أنَّها كانت خطة من الخليفة الفاطمي للتخلص من المعز بن باديس أولاً وللتخلص من الهلاليين نتيجة الأوضاع الاقتصادية السيئة التي تمر بها مصر.
- 4- ضياع بلاد المغرب عن الفاطميين كان فرصة في السماح للأعراب الهلالية بإجازة النيل والتوجه إلى إفريقية التي كانت تعيش أزمة سياسية من خلال انقسام الصنهاجيين إلى قسمين (بنو زيري) و(بنو حماد) وكثرة حروبها مع زناتة.

5- إنَّ الدخول الهلالي لإفريقية وسقوط القيروان وما جاورها إحدى أسباب ضعف الدولة الزييرية

الصنهاجية التي لم تحسن سياسة هؤلاء الإعراب وتسخيرهم لخدماتها.

6- كان للهجرة الهلالية لبلاد المغرب الإسلامي أثر سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي أدى

إلى تغيير البيئة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لسكان المغرب وثقافتهم وبنيتهم

الاجتماعية.

7- استطاع الهلاليين تغيير المكون البشري للمغرب الإسلامي بالاختلاط مع البربر والتفوق عليهم

من ناحية العرق المسيطر على كل البلاد وأصبحت الملامح العربية غالبية على الملامح

البربرية، وصار المغرب من أكثر البلاد عروبة وأعمتها إسلاماً.

8- لم تكن الهجرة الهلالية شراً كلها فقد أسهمت في استقرار المغرب الإسلامي اجتماعياً وثقافياً.

9- اجتماعياً سيطر العنصر العربي على المغرب الإسلامي وتغيرت العادات والتقاليد الاجتماعية،

وثقافياً سيطرت اللغة العربية على اللغة المحلية واندثارها لصالح اللغة العربية وآدابها وشعرائها.

10- أن معظم المؤرخين الذين أرخوا لهجرة بني هلال نحو بلاد المغرب استندوا على ما كتبه

ابن خلدون في كتابه العبر.

11- اغلب المؤرخين عرب وغربيين أرجعوا سبب دمار وخراب بلاد المغرب هو الهجرة الهلالية

إليها.

12- حاول بعض المؤرخين عرب وغربيين محدثين إنصاف الهلاليين وتتبع أسباب خراب ودمار

بلاد المغرب، وأنَّ عدم الاستقرار السياسي الذي شهده والحروب الداخلية والغزوات الخارجية

هي أكبر الأسباب التي تقف وراء الخراب.

13- يرى بعض المؤرخين المدافعين عن بني هلال عرب وغربيين أنَّ الأخذ بما كتبه ابن

خلدون عن بني هلال دون تمحيص او تدقيق وخاصة أنَّه لم يكن معاصرا لهم هو سبب

الوقوع في الخطأ حيالهم وتحميلهم تهمة الخراب والدمار.

14- قلة الكتابات الغربية التي تناولت موضوع هجرة الهلاليين والتي وجدت اكتفت بتناولهم

لجانب الآثار التي ترتبت عن الهجرة وعدم التطرق لنسب بني هلال ولا مواطنهم أو أسباب

هجرتهم.

التوصيات:

يوصي الباحث في ختام هذه الرسالة بما يأتي:

1- ضرورة إعادة قراءة السيرة الهلالية قراءة جديدة والتخلص مما علق بها من مبالغات وأكاذيب وذلك عبر هيئة متخصصة من الباحثين والمؤرخين بحيث يتم تنقية هذه الهجرة إذ أن فيها الكثير من التجني لاسيما فيما يتعلق بالخراب والدمار الذي عمله الهلاليون في المغرب.

2- إيجاد دراسة وترشيح موضوعات للبحث الأكاديمي (الماجستير والدكتوراه) في الجامعات الليبية لتناول قضايا مهمة من هذه الهجرة لاسيما فيما يتعلق بالجانب الاقتصادي.

المراجع

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- 1- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن، اللباب في تهذيب الأنساب. بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، 1980.
- 2- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن، الكامل في التاريخ. ترجمة أبو فداء عبدالقاضي. بيروت: دار الكتاب العلمية، 1992.
- 3- الإدريسي، أبو عبد الله. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. بيروت: عالم الكتب، 1988.
- 4- الأندلسي، ابن طه، المغرب العربي، من كتاب نزهة المشتاق. تحقيق ك. و. سترسيتين. بيروت: دار صادر، 1992.
- 5- ابن دريد. الاشتقاق. تحقيق عبد السلام محمد هارون. بيروت: دار الجيل، 1991.
- 6- الجلاوي. التاريخ الفاطمي. القاهرة: دار الفكر العربي، 1994.
- 7- ابن حجر، الهيثمي. مبلغ الأرب في فخر العرب. تحقيق يسري عبد الغني عبد الله. بيروت: دار الكتب العلمية، 1950.
- 8- ابن حبيب، أبو جعفر بن محمد. مختلف القبائل ومؤلفها. بيروت: دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، د.ت.
- 9- ابن حزم الأندلسي. جمهرة أنساب العرب. تحقيق عبد السلام محمد هارون. القاهرة: دار المعارف، 1962.
- 10- الحربي، إبراهيم. المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة. تحقيق حمد الجابر. السعودية: منشورات دار اليمامة، 1969.
- 11- الح يحي، أبو عبد الله محمد بن محمد. رحلة العبدري (الرحلة المغربية). تحقيق محمد الفاسي. الرباط: المكتبة التوفيقية، 1968.
- 12- الخالدي. الوجود الهلالي السليمي بالجزائر. الجزائر: دار الهومة، 2012.
- 13- ابن خلدون، عبد الرحمن محمد. العبر وديوان المبتدأ والخبر. بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1959.
- 14- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق إحسان عباس. القاهرة: دار النهضة المصرية، 1998.

- 15- ابن أبي دينار، القيرواني، وعبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني، *المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس*. تحقيق محمد شمام. تونس: الدار التونسية للنشر، 1387هـ.
- 16- الزياتي، ابن وزان. *وصف إفريقيا*، ترجمة عبد الرحمن حميدة. القاهرة: مكتبة الأسرة، د.ت.
- 17- ابن سعد، *الطبقات الكبرى مع الفهارس*. بيروت: دار الكتب العلمية، 1997.
- 18- القلقشندي، أبو العباس أحمد، *قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان*. القاهرة: دار الكتب الحديثة، 1963.
- 19- القلقشندي، أبو العباس أحمد. *نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب*. بغداد: دار الكتب الوطنية، د.ت.
- 20- كحالة، عمر رضا. *معجم قبائل العرب القديمة والحديثة*. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1982.
- 21- المراكشي، ابن عذارى. *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*. تحقيق ج. س. كولت وليفي بروفنسال. بيروت: دار الثقافة، 1983.
- 22- المراكشي، ابن عذارى. *البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس*. ترجمة بروفنسال. بيروت: دار الثقافة، 1995.
- 23- المقحفي، إبراهيم بن أحمد. *معجم البلدان والقبائل اليمنية*. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 2004.
- 24- المقرئزي. *إغاثة الأمة بكشف الغمة*. تحقيق مصطفى زيادة وجمال الشيال. القاهرة: دار الكتب، 1990.
- 25- المقرئزي. *تعاض الحنفاء بأخبار الخلفاء*. نشر جمال الدين الشيال. القاهرة، 1996.
- 26- المقرئزي. *البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب*. تحقيق عبد المجيد عابدين. القاهرة: دار النشر، 1961.
- 27- المقرئزي. *المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار*. القاهرة: مكتبة الثقافة العربية، د.ت.
- 28- النويري، شهاب الدين. *نهاية الأرب في فنون الأدب*. بيروت: دار الكتب العلمية، 2004.
- 29- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب. *نهاية الأدب في فنون الأدب*. تحقيق عبد المجيد ترحيبي. بيروت: دار الكتب العلمية، 2004.

- 30- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب. *تاريخ المغرب في العصر الوسيط*.
تعليق محمد أبو ضيف. الدار البيضاء: دار النشر المغربية.
31- الهمذاني. *الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير*. عدن: الدار اليمنية للنشر
والتوزيع، 1987.

ثانيا: المراجع العربية:

- 1- البراوي، راشد. *تاريخ الدولة الفاطمية*. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1981.
2- البراوي، راشد. *حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين*. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية،
1998.
3- البغدادي، عبد اللطيف. *الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعينة بأرض
مصر*. إشراف عبد الرحمن عبد الله الشيخ. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2،
1988.
4- بوسماحة، عبد الحميد. *رحلة بني هلال إلى الغرب وخصائصها التاريخية والاجتماعية
والاقتصادية*. الجزائر: دار السبيل، 2008.
5- بو سماحة، عبد الحميد. *رحلة بني هلال إلى المغرب وخصائصها التاريخية والاجتماعية
والاقتصادية*. دار السبيل، 2005.
6- الحصري، ساطع. *دراسات عن مقدمة ابن خلدون*. القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ت.
7- الخالدي، أحمد عبد الحميد، *الوجود الهلالي السليمي بالجزائر*. الجزائر: دار الهومة، 2012.
8- خسرو، ناصر. *سفر نامه*. ترجمة يحيى الخشاب. القاهرة: مطبوعات البنك العربي الدولي
للمعلومات، ط2، 1970.
9- زينب نجيب. *الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس*. بيروت: دار الأمير للنشر، 1995.
10- سعد زغلول عبد الحميد. *تاريخ المغرب العربي*. الإسكندرية: منشأة المعارف، 1965.
11- سعد زغلول عبد الحميد. *تاريخ المغرب العربي: الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون
إلى قيام المرابطين*. الإسكندرية: منشأة المعارف، 1990.
12- الضاوي، أحمد السيد، *مجاعات مصر الفاطمية: أسباب ونتائج*. لبنان: دار التضامن،
1988.
13- الظاهري، أبو عبد الرحمن بن عقيل، وعبد الحليم عويس، *بنو هلال أصحاب
التغريبة في التاريخ والأدب*. الرياض: دار العلوم، 1981.

- 14- طمار، محمد. *المغرب الأوسط في ظل صنهاجة*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2010.
- 15- عبد القادر صالح. *العقيدة والأديان*. بيروت: دار المعارف، 2003.
- 16- العبدري، أبو عبد الله محمد بن محمد الحيحي العبدري، *رحلة العبدري (الرحلة المغربية)*. تحقيق محمد الفاسي. الرباط: المكتبة التوفيقية، 1968.
- 17- العروى، عبد الله. *مجلد تاريخ المغرب*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1977.
- 18- علي، أحمد كريم، *تاريخنا بين الحقيقة والخيال، دراسة تاريخية*. طرابلس: دار الحكمة، 2003.
- 19- الغنای، مراجع عقيلة. *قيام دولة الموحدين*. بنغازي: منشورات جامعة بنغازي، 1988.
- 20- الغنيمي، عبد الفتاح مقلد. *موسوعة المغرب العربي*. القاهرة: مكتبة مدبولي، 1994.
- 21- كيرة، نجوى. *الحياة العامة في مصر في العصر الفاطمي*. القاهرة: مطبعة زهراء الشرق، 2004.
- 22- ماجد، عبد المنعم. *ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها*. القاهرة: دار البيان العربي، 1968.
- 23- ماجد، عبد المنعم. *ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها*. القاهرة: د.ط، 1968.
- 24- المجدوب أحمد عبد العزيز، *الصراع المذهبي بأفريقية إلى قيام الدولة الزيرية*. تونس: الدار التونسية للنشر، 1975.
- 25- محمد حسن. *المدينة والبادية بأفريقية في العهد الحفصي*. تونس: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 1999.
- 26- محمد شريف. *العرب في بلاد المغرب بين التاريخ الاستعماري والبحث الأكاديمي: تصحيح لمغالطات تاريخية*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2010.
- 27- محمد الهادي الشريف. *تاريخ المغرب العربي*. تونس: الدار التونسية، 1974.
- 28- الميلی، عباس. *تاريخ الجزائر في القديم والحديث*. د.ط، د.ت، ج2.
- 29- الميلی، مبارك بن محمد الهلالي. *تاريخ الجزائر في القديم والحديث*. بيروت: دار العودة، 1963، ج2.
- 30- ظهور الخلافة وسقوطها في مصر. القاهرة: دار الفكر العربي، ط4، 1994.

المراجع الأجنبية:

1. **آندري جوليان، شارل،** "تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس-الجزائر-المغرب الأقصى) من الفتح الإسلامي إلى سنة 830م"، ترجمة: محمد مزالي والبشير بن سلامة (تونس: الدار التونسية للنشر، 1998) ج2/82.
2. **بوفيل،** "تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير"، ترجمة أبو لقمة ومحمد عزيز، منشورات جامعة قاريونس، 1988.
3. **بونسي، ج.،** "أسطورة الكارثة الهلالية"، ترجمة: مهند الخطيب، مجلة عالم الفكر، دمشق، العدد السابع، 1985.
4. **الفردبل،** "الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم"، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، ط3 (بيروت: دار المغرب الإسلامي، 1987).
5. **إدريس، ل. ه. ر.،** "إفريقية في عهد بني زيري" (القاهرة: دار الكتب العلمية، دت).
6. **إميل فيليكس قوتيه،** "ماضي شمال إفريقيا"، تونس، 1989.
7. **جاك تيري،** "تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى"، ترجمة جادالله عزوز الطلحي، دار الكتاب والنشر، ليبيا، الطبعة الثانية، 2008، ص 270.
8. **جورج مارسيه،** "بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى"، ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، مراجعة: مصطفى أبو ضيف أحمد (الإسكندرية: منشأة المعارف، 1991) ص 180-181.
9. **ميكائيل ياندي خوية،** "القرامطة (نشأتهم، دولتهم، وعلاقتهم بالفاطميين)"، ترجمة: حسن زينة، ط1 (بيروت: دار ابن خلدون، 1978).
10. **روجي إدريس الهادي،** "الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12"، ترجمة: حمادي الساحلي (بيروت: دار المغرب الإسلامي، 1992).

رسائل الماجستير والدكتوراه

1. **أحمد خليفه،** "أثر العرب الهلالية في الحواضر الإسلامية المغربية _حاضرة القيروان خلال القرن 5هـ_11م، أنموذجاً"، رسالة ماستر، جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي، الجزائر، 2016_2017.

2. **فاطمة بولفيني**، "لغة قبائل بني هلال بين العامية والفصحى، دراسة لقبائل الغرب الجزائريّة تاريخية أنثروبولوجية ولغوية"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة جيلالي ليايس، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربيّة، سيدي بلعباس، الجزائر، 2017.
3. **فائزة محمد صالح أمين**، "غزو بني هلال وبني سليم للمغرب"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الآداب، قسم التاريخ، 1981.
4. **قداري بن ديدة**، "تأثيرات الهجرات الهلالية على المغرب الأوسط"، رسالة ماجستير، جامعة مولاي الطاهر سعيدة، الجزائر، 2014_2015.
5. **مصطفى بن عريب**، "مجتمع المغرب الأوسط المتغيرات والعلائق (من القرن الرابع الهجري إلى سقوط دولة الموحدين 668هـ/1269م)"، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2017.
6. **عيسى قوراري**، "قبيلة حميان من القرن 5_8 هـ_11_14م، دراسة تاريخية وثائقية"، مذكرة دكتوراه، شعبة الفنون الشعبيّة، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2005_2006.

المجلات:

1. **أحمد عمر عمروش**، "الاستشراق الفرنسي والهجرة الهلالية"، مجلة تطوير العلوم الاجتماعيّة، مجلد 12، ع 1، 2019.
2. **امحمد انويجي غميص**، "الهجرة الهلالية وصد الغزوات الصليبيّة على إفريقية والأندلس"، مجلة العلوم الإنسانيّة، كلية الآداب الخمس، سبتمبر 2016، ع 13.
3. **حمد الجاسر**، "بنو هلال قديماً وحديثاً"، مجلة العرب، (الجزء 1-2) الرياض، رجب 1989.
4. **حسن علي حسن**، "الغزو الهلالي للمغرب أسبابه ونتائجه"، المجلة التاريخيّة المصريّة، (القاهرة: مطبعة الجبلاوي، العدد 84).
5. **سليم محمد الشريري - محمد محمد المسعودي**، "المجاعات والأوبئة في مصر خلال حكم المستنصر بالله الفاطمي 'الشدة العظمى أنموذجاً' 457-464هـ / 1065-1071م"، مجلة البحوث الأكاديميّة، جوان، 2019.
6. **دعفوس راضي**، "مراحل تاريخ الهلالية في المشرق، مسار قبائل بني هلال وبني سليم من الحجاز ونجد إلى إفريقية والمغرب"، مجلة المؤرخ العربي، العدد (11)، الأمانة العامّة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، 1989.
7. **ممدوح حسن**، "العرب الهلالية في إفريقية ودورهم في الحروب الصليبيّة"، مجلة كلية الآداب، الجامعة التونسيّة، العدد 118.